ملامح من التكوين العقدي لشخصية المسلم
في ضوء تدبر بعض قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن
دراسة موضوعية

إعــداد

د. محمد عبد الدايم علي سليمان محمد الجندي

د. محمد عبدالدايم علي الجندي .

- **الأستاذ المشارك في قسم الدراسات الإسلامية –كلية الآداب – جامعة الملك فيصل بالأحساء .**
- **حصل على درجة الماجستير من كلية الدعوة الإسلامية –جامعة الأزهر بمصر بأطروحته:** (فطرة التدين بين الأصالة والمعاصرة في ضوء الوحي الإلهي والفكر البشري).
- **حصل على درجة الدكتوراه من كلية الدعوة الإسلامية –جامعة الأزهر بمصر بأطروحته:** (الشيخ صالح الجعفري حياته وجهوده في الحياة الروحية في ميزان الإسلام).

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص

يعد قصص إبراهيم في القرآن أنموذجا متكاملا لتوجيه الأصول الداخلية لشخصية المسلم (الروحية ، القلبية ، العقلية) لله تعالى بالكلية ، فما أحوج شخصية المسلم إلى متابعة التكوين القرآني في ظل تزاحم الأخطار الفكرية الباردة ، والتحديات الأخلاقية التي تداهم كيانها .

وفي هذا البحث نصنف لهذه الأصول التي تتحكم في كيان شخصية المسلم عبر قنوات استشعارها بتوحيد ربها ، وصدق الإيواء إليه من خلال طريق إبراهيم عليه السلام ومنهجه ، وقد أخذ منهجه موضع اهتمام القرآن في عرض ما اشتملت عليه دعوته من أهداف العقيدة وضوابطها بأساليب نظرية وعملية، وطرق مجدية نافعة، رسم بها الطريق للقلوب التائهة لتهتدي إلى نور التوحيد .

وتظهر أهمية البحث وثمرته في موضوعه ومنهجه، وفي تطبيقه وصلته ببناء الشخصية المسلمة ، ومن ثم ببناء المجتمع كله وحاجته إليه من خلال عرض جوانب البناء والترسيخ في قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن ، ومدى تحقيق الأهداف والمطامح والنتائج والغايات المرجوة من وراء ذلك، ومن هنا يتصدر البحث عنوان : (ملامح من التكوين العقدي لشخصية المسلم في ضوء تدبر قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن .. دراسة موضوعية) كموضوع من أهم الموضوعات التي نحن في أمس الحاجة إليها في بناء شخصيتنا على يقين عقدي لا سيما في زمن فسد فيه معتقد كثير

من الناس ، فما حصل أو يحصل من ضعف الوازع الديني أو خروج الناس على أحكام الله ، أو إهمالهم أوامر الله ونواهيه ، وتساهلهم في ارتكاب المحرمات ؛ إلا بسبب الخلل العقدي الذي أصاب شخصيتهم ، فانتشر الإلحاد والملحدون في المجتمعات البشرية ممن يزعمون العلم والفهم وهم في الحقيقة معاول لهدم الإنسانية وطمس معالم الحق في الناس.

Abstract

Prophet Ibrahim's stories in the holy Qur'an represents an integrated model which dedicates the entire fundamental essence of the Muslim's character - spiritually, emotionally, and mentally - to Allah. Indeed, the Muslim is in a dire need of adhering to the Qur'anic formation of personality, especially in the presence of external conceptual threats and ethical challenges that raid its entity.

In this research work, I classify these origins that control the entity of Muslim character through their channels which sense monotheism, and the sincerity in resorting to Allah by following Ibrahim's approach (PBUH). His approach was focused on in the Qur'an by means of demonstrating how his ways contained the objectives and standards of faith through theory and practice and beneficial means; thus, paving the way for the hearts that went astray to find the way to monotheism.

The significance of this research is manifested in its subject, approach, application and relation to building the Muslim personality, and consequently, to building the whole society. That is attained by presenting the consolidation aspects in the stories of Ibrahim (PBUH) in Qur'an, and the achievement of the desired goals, aspirations and results.

These reasons prompted entitling this research as: "Features of the Doctrinal Composition in the Muslim Character in Light of Some of the Qur'anic Stories of Ibrahim – An Objective Study", Is that it is one of the most important topics which we desperately need to build our character on the foundation of faith and notably, at a time where many a people are suffering from corruption in their creed. All negative grievous deeds that are happening, such as weakening of faith, ignoring the provisions of Allah, or neglecting Allah's commands and prohibitions, can be

attributed to corruption of faith. These evils lead to spreading atheism in our societies. We now find atheists who claim knowledge when, in fact, they are just causing the destruction of humanity and distortion of the truth.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الواحد الأحد، الفرد الصمد، المتنزه عن الصاحبة والشريك والولد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، شهادة تقطع بها الظنون والأوهام، صلاة وسلاماً عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـــــــد

فما أحوج شخصية المسلم إلى متابعة التكوين القرآني في ظل تزاحم الأخطار الفكرية الباردة، والتحديات الأخلاقية التي تداهم كيانها، وتهدد بقاءها عبر قنواتها ووسائلها المتنوعة كالإعلام المغرض وأنساقه المختلفة، وفي متابعة لقصة التدين في صعودها الشاهق، وانحدارها الساحق في ذاتية الإنسان، بين عقول قاصرة، وأهواء حائرة، وبين حلول غيوم التمدن، وأفول شمس التدين، تبحث شخصية المسلم عن التدين في أسمى معانيه، وفي أبهى صوره ومبانيه، لأنه فطرة في تكوينها، فيتسنم المسلم ذروة بحثه متدبرا في آي الله في القرآن ليجسد لعبره في شخصيته، ويرسم لها في ملامحه، وتعد قصص إبراهيم - من وابل عظيم مغمور بالعبر - في القرآن نموذجا لتوجيه الأصول الداخلية للشخصية(الروحية، القلبية، العقلية) لله تعالى بالكلية، فهذه الأصول في شخصية المسلم بمثابة جناحين يرتفع بهما ويرقى عن حمأة المادة المظلمة إلى مشرق العقيدة المضيئة، وقد دعا الإسلام هذه الأصول إلى التوجه لله تعالى بالكلية، وطالبها بتوحيده واليقين فيه عبر قنوات التأثير الوجدانية والتأملية والفطرية حتى تصير شخصية المسلم في

صلتها بربها نزيهة نقية خالية من معكرات الصفو ومكدرات النقاء.

وفي هذا البحث نصنف لهذه الأصول عبر قنوات استشعارها بتوحيد ربها، وصدق الإيواء إليه من خلال طريق إبراهيم ﷺ ومنهجه، إذ يعد منهج " إبراهيم ﷺ " نموذجا مهما في بناء شخصية المسلم على أساس متين من العقيدة الصحيحة، وقد أخذ منهجه موضع اهتمام القرآن في عرض ما اشتملت عليه دعوته من أهداف العقيدة وضوابطها بأساليب نظرية وعملية، وطرق مجدية نافعة، رسم بها الطريق للقلوب التائهة لتهتدي إلى نور التوحيد.

وتلك مهمة القرآن فـ " إطالة التأمل في القرآن وجمع الفكر من معاني آياته تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما ومآل أهلهما، وتثبت قواعد الإيمان في قلب المسلم، وتشيد بنيانه وتوطد أركانه وتريه صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه، وتبصره مواقع العبر وتشهده عدل الله وفضله وتعرفه ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وما يحبه وما يبغضه وصراطه الموصل إليه، وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه وقواطع الطريق وآفاتها وتعرفه النفس وصفاتها ومفسدات الأعمال ومصححاتها، وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم وأحوالهم وسيماهم ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه وافتراقهم فيما يفترقون فيه "(١).

(١)مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق : محمد حامد الفقي (ط.دار الكتاب العربي – بيروت، طبعة ثانية، =

ولقد نوه القرآن الكريم بمواقف إبراهيم عليه السلام النبيلة الثابتة، وشهد له بعزيمته القوية الصادقة لا سيما مع أبيه في سبيل دعوته إلى توحيد الله تعالى، وقد كان من خصائص دعوته الشمول والواقعية، وذلك ليس بدعا في الدين، فهو من طبيعة المنهج الذي يرسمه هذا الدين، والذي نستمد نحن منه يقيننا الذي لا يتزعزع.

وإن البشرية لتحتاج إلى فهم منهج إبراهيم عليه السلام، وتحتاج إلى الاستفادة من قصصه التي تنبع من اليقين وتتدفق به، ومهما مضت البشرية في اعتساف تجارب متنوعة هنا وهناك- كما هي الآن ماضية في الشرق وفي الغرب سواء- فلا مناص من نهاية هذه التجارب، فهذه التجارب كلها تدور في حلقة مفرغة، وداخل هذه الحلقة لا تتعداها- حلقة التصور البشري المحدود، والتجربة البشرية الضيقة، والخبرة البشرية المشوبة بالنقص والضعف والهوى، بخلاف منهج إبراهيم عليه السلام وإخوانه من المرسلين، فهو منهج رباني صادر عن الكمال بدل النقص، والقدرة بدل الضعف، ومن الحكمة بدل الهوى، إنه منهج يدعو إلى تخليص البشرية من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وقد ضرب إبراهيم عليه السلام أروع مثال في بيان هذا المنهج الرباني، ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا

= ١٣٩٣ – ١٩٧٣) جـ١، صـ ٤٥١.

جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾[1]، وقال تعالى أيضا عن إبراهيم عليه السلام ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾[2].

فيال منهج إبراهيم عليه السلام .. إنه منهج بنائي دقيق لشخصية المسلم؛ يؤصل للتوحيد بصورة عملية حوارية رائعة، تقوم على الحجة والبرهان والعقل وتربي القناعة وتزيل الشك، ومن صور ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا

(١) سورة الأنعام: ٧٤/ ٧٩.

(٢) سورة مريم: ٤٢/ ٤٥.

فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾
قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا
فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ
أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا
تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ
فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا
فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾[1] .

ولما كان منهج إبراهيم عليه السلام دستورا في تقويم بناء شخصية المسلم؛ أصبح من الضرورة دراسة الآيات التي تحدثت عنه إثباتا للتوحيد كما عرضه القرآن الكريم من حيث أهميته وضرورته دراسة موضوعية يتبين من خلالها لكل مسلم عظمة العقيدة وضرورتها، وما يجب على كل مسلم تجاهها، فيجعلها نصب عينيه ويلتزمها في كل شئون حياته العلمية والعملية، حتى تكون همّ حياته ومصدر سعادته، مدركا أنه لا معنى لوجوده، ولا سبيل لنجاته إلا بها.

- **أهمية البحث:**

تظهر أهمية البحث وثمرته من حيث استمداده وموضوعه ومنهجه، ومن حيث تطبيقه وصلته ببناء الشخصية المسلمة، ومن ثم ببناء المجتمع كله وحاجته إليه من خلال عرض جوانب البناء والترسيخ في قصص

(١)سورة الأنبياء : ٥١ / ٧٠ .

إبراهيم عليه السلام في القرآن، ومدى تحقيق الأهداف والمطامح والنتائج والغايات المرجوة من وراء ذلك، ومن هنا يتصدر موضوع البحث (ملامح من التكوين العقدي لشخصية المسلم في ضوء تدبر قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن .. دراسة موضوعية) أهم الموضوعات التي نحن في أمس الحاجة إليها لبناء شخصيتنا على يقين عقدي لا يزول وإن زالت الشوامخ العوالي، لا سيما في زمن فسد فيه معتقد كثير من الناس، وتبلبلت أفكارهم تجاه دينهم وشريعتهم، فما حصل أو يحصل من ضعف الوازع الديني أو خروج الناس على أحكام الله، أو إهمالهم أوامر الله ونواهيه، وتساهلهم في ارتكاب المحرمات؛إلا بسبب الخلل العقدي الذي أصاب شخصيتهم، أو لعدم جدواهم في اتباع قواعدها المرسومة وفق شريعة الله تعالى، فانتشر الإلحاد والملحدون في المجتمعات البشرية ممن يزعمون العلم والفهم وهم في الحقيقة معاول لهدم الإنسانية وطمس معالم الحق في الناس.

- **الهدف من البحث:**

تهدف الدراسة إلى الوقوف على قصص القرآن المرتبطة بإبراهيم عليه السلام والتدبر والتفكر فيها والتعلم منها في كيفية غرس العقيدة كأساس في بناء وترسيخ ملامح النهوض التكويني في شخصية المسلم .

منهج الآيات في عرض الموضوع:

إنّ منهج الآيات بمجموعها وحسب تناولها للموضوع تدور حول محورين رئيسيين:

المحور الأول: بيان تكوين القصص الإبراهيمي للجوانب الأصيلة في شخصية المسلم.

المحور الثاني: بيان تناغم الموارد الأصيلة للكينونة الداخلية في المسلم ورسائل الحواس من خلال دعوة إبراهيم عليه السلام.

ـ أما منهجي في عرض الموضوع، فإنني ذكرت الآيات التي تناولت الأساليب النظرية والعلمية في بناء الشخصية المسلمة عل أصول الدين وما يتعلق بها، وتفسير الآيات وبيان ما بينها من الصلة والترابط، وذكرت ما فيها من الفوائد والآداب والإرشادات والتوجيهات الربانية الكريمة، مدعما ذلك بالآيات القرآنية وبالأحاديث النبوية الشريفة، وقد اعتمدت في منهجية الدراسة على المنهج الموضوعي.

خطة البحث:

اشتمل البحث على:مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث وخاتمة:

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع وأهدافه، ومنهج الآيات في عرض الموضوع، وخطة البحث .

التمهيد : حول المفاهيم .

المبحث الأول : تدبر قصص إبراهيم عليه السلام وتكوين الجانب الروحي في شخصية المسلم .

المبحث الثاني: أثر تدبر قصص إبراهيم عليه السلام في ربط الميل القلبي بالله تعالى.

المبحث الثالث : أثر تدبر قصص إبراهيم عليه السلام في توجيه العقل نحو تنزيه الله تعالى .

المبحث الرابع : تحريك الدوافع السلوكية والعملية للمسلم من خلال قصص إبراهيم عليه السلام .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات .

التمهيد

حول المفاهيم

عند البحث في معنى التدبر نجده من الكلمات الواردة في القرآن على أصل معناها اللغوي في أغلب استعمالاته، وفيما يلي بيان ذلك :

أولا : المراد بالتكوين العقدي :

التكوين :يقال" تكوَّنَ يتكوّن، تكوُّنًا، فهو مُتكوِّن، وتكوَّن الشَّخصُ: تدرَّب وتعَلَّم وظهَر والتكوين : التركيب، والبنية، والإنشاء " .

وأما العقدي:فمن مادة عقد وهي في اللغة مدارها اللزوم والتأكيد، تقول العرب:اعتقد الشيء: صلب واشتد [1]، وعقَد الحبْل عَقْداً من باب ضرب فَانْعَقَدَ، وهي:العُقدةِ ومنها:عُقْدة النِكاحِ والعُقْدَةُ ما يمسكه ويوثقه، ومنه قيل: عَقَدْت البيع ونحوه [2]، فالعُقْدة:البيعة المعقودة لهم[3]،

(١) أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ص ٣٨٧ ج ٤، طبعة دار صادر، بيروت، طبعة أولى، بدون تاريخ.

(٢) المقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (العلامة)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، د. ت، ج ٢ ص ٤٢١، وانظر: المغرب في ترتيب المعرب، المؤلف: أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز، تحقيق: محمود فاخوري، وعبد الحميد مختار، الناشر: مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط/ أولى، سنة ١٩٧٩م، ج ٢ ص ٧٣ .

(٣) الزمخشري، محمود بن عمر (العلامة)، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، الفائق في غريب الحديث، ط: دار المعرفة، لبنان، ط/ ثانية، د.ت، ج ٣ ص ١٦.

من عُقْدةِ الحَبْل، وعَقَدْتُ اليمين وعَقَّدْتها بالتشديد توكيد، وعَاقَدْتُهُ على كذا وعَقَدْتُهُ عليه بمعنى عاهدته، ومَعْقِدُ الشيء مثل مَجْلِس موضع عَقْدِهِ، وعُقْدَةُ النكاح وغيره:إحكامه وإبرامه، والعِقْدُ بالكسر: القلادة، والجمع:عُقُودٌ مثل حِمْل وحُمُول، واعْتَقَدْتُ كذا:عَقَدْتُ عليه القلب والضمير، حتى قيل: العَقِيدَةُ (ما يدين الإنسان به وله عقيدة: حسنة سالمة من الشك)[1] .

والعقيدة في الاصطلاح: الإدراك الجازم المطابق للواقع الناشئ عن دليل، وقولهم: المطابق للواقع قيد يخرج العقائد الفاسدة كاعتقادات النصارى في التثليث واعتقاد اليهود أن عزيزا ابن الله، وغير ذلك من العقائد الفاسدة[2] .

ـ والمراد بالتكوين العقدي هنا: البناء العقدي على أساس التوحيد الخالص بعيدا عن الشرك.

ثانيا : مفهوم التدبر :

جاء في لسان العرب" دبّر الأمر وتدبّره أي نظر في عاقبته وعرف الأمر تدبرا أي بآخره، فتدبر الكلام أي النظر في أوله وآخره، ثم إعادة النظر مرة

(١) المقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، ج ٢ ص٤٢١ .

(٢) انظر: د/ حمدي عبد العال، منهج السلف في العقيدة، ص ٣١، دار القلم، الكويت، طبعة أولى، سنة ١٩٨٤م

بعد مرة.. والتدبر في الأمر: التفكر فيه" [١]، و" التدبر مأخوذ من النظر في أدبار الشيء وعواقبه ونهاياته"[٢].

وفي التعريفات:" التدبر: النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكر، إلا أن التفكر تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب " [٣].

وفي معجم مقاييس اللغة :"التدبر من: دَبَرَ ـ بفتح الدال والباء ـ وجُلُّه في قياس واحد، وهو : آخر الشيء، وخلفه؛خلاف قُبُله"[٤]، وقيل:"تَدَبَّرْتُهُ تَدَبُّرًا : نظرت في دبره وهو عاقبته وآخره "[٥].

المراد بتدبر القرآن :

دارت كلمة " التدبر " لآي الله في القرآن حول عدة معان منها (التأمل، التفكر، الاعتبار، التعقل، الامتثال، التفهم)، ونذكر فيما يلي بعضا من أمثلته:

يقول ابن القيم : تدبر القرآن"هو تحديق ناظر القلب إلى معانيه وجمع

(١) لسان العرب، محمد بن منظور (ط. دار صادر، بيروت، د.ت)جـ ٤، صـ٢٦٨ .

(٢) نفس المصدر، جـ ٤، صـ٢٧٣ .

(٣) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، (ط. دار الشروق، ط. ثالثة، سنة ١٣٩٩هـ) صـ ١٦٧ .

(٤)معجم مقايسس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين تحقيق عبد السلام هارون (ط. اتحاد الكتاب العربي، سنة ١٤٢٣هـ) جـ٢، صـ٢٦٦.

(٥) المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، دراسة و تحقيق : يوسف الشيخ محمد (ط. المكتبة العصرية، د. ت) صـ ١٠٠ .

الفكر على تدبره وتعقله وهو المقصود بإنزاله لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر قال الله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾(١) وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٣ ﴾ (٤)"(٥).

وقال: " وتدبر الكلام أن ينظر في أوله وآخره، ثم يعيد نظره مرة بعد مرة ولهذا جاء على بناء التفعل كالتجرع والتفهم والتبين" (٦).

وجاء في أضواء البيان:" تدبر آيات هذا القرآن العظيم أي: تصفحها، و تفهمها، وإدراك معانيها، و العمل بها " (٧)، وقيل :" التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة " (٨)، إذن " تدبر القرآن

---

(١) سورة ص : ٢٩ .

(٢) سورة محمد : ٢٤ .

(٣) سورة المؤمنون : ٦٨ .

(٤) سورة الزخرف : ٣ .

(٥)مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق : محمد حامد الفقي (ط.دار الكتاب العربي – بيروت، طبعة ثانية، ١٣٩٣ – ١٩٧٣) جـ١، صـ ٤٥١ .

(٦)مفتاح دار السعادة، ابن القيم الجوزية (ط. دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت)جـ ١، صـ١٨٣.

(٧) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٧/ ٤٢٩ .

(٨)قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله تعالى، عبدالرحمن حسن حبنكة (ط. دار القلم –دمشق =

هو تفهم معاني ألفاظه، والتفكر فيما تدل عليه آياته مطابقة، وما دخل في ضمنها، وما لا تتم تلك المعاني إلا به، مما لم يعرج اللفظ على ذكره من الإشارات والتنبيهات، وانتفاع القلب بذلك ؛بخشوعه عند مواعظه، وخضوعه لأوامره، وأخذ العبرة منه" (١).

وفي الإتقان:"وتسن القراءة بالتدبر والتفهم، وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كل آية ويتأمل الأوامر والنواهي ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مرّ بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوذّ أو تنزيه نزّه وعظم، أو دعاء تضرع وطلب."(٢).

= – ط. ثانية – سنة ١٤٠٩هـ) صـ١٠ .

(١) تدبر القرآن، سليمان السنيدي، (ط. المنتدى الإسلامي، ط. أولى، ١٤٢٢هـ) صـ١١ .

(٢)الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ط. دار التراث، القاهرة، د. ت) جـ ١، صـ ١٢٧.

المبحث الأول

تدبر قصص إبراهيم عليه السلام

وتكوين الجانب الروحي في شخصية المسلم

إن توجهات الإنسان في ذاتها مجردة–بلا عقيدة دافعة – مجرد مسالك خاوية ومهاو سحيقة؛ عديمة الحياة؛ فقيدة الروح، والذي يمنحها الحياة هي حرارة الإيمان المشرقة من روح الإيمان المكونة لروحية الإنسان، والروح نفسها بلا إيمان لن تشرق، إنها تكون عديمة مقفرة، ولا تنبت نبتة الإيمان في روح باردة لأنها لا تنتج، ولا يعدو صاحبها كونه كائنا يدب على وجه الأرض في صورة بشر، ومن دعائم روحية الإنسان ومكونات إيمانه تدبر قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن، وقبل أن نطوف في ظلال ذلك نعرف بالجانب الروحي:

حول مفهوم الجانب الروحي :

إن الجانب الروحي مبعثه الروح، والروح في اللغة :" ما يقابل المادة، والروحية تقابل المادية، وتقوم على إثبات الروح وسموها على المادة"[1]، على اعتبار أن "الإنسان مركب من روح وجسد، والروح هو الأول في الوجود، ثم تألف الجسد من عناصر الأرض وطبيعتها ليكون مقراً لهذه الروح ومظهراً لها، والروح نورانية لطيفة، والجسم مظلم كثيف، وهى قوة

(١) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، باب الراء، مادة (روح) ص ٣٩٤ ـ ٣٩٥ .

فعالة، وهو متغير ضعيف، ولما أراد الله خلق الكائنات، خلق خلقاً نورانياً عظيماً جداً في خلقه، قوياً جداً فى تأثيره، وهذا المخلوق هو الروح"(١).

إذن الروحية هي الأصل والمادية طرأت عليها، فالروح أولاً، وهى طرف الحوار الذي أشهد الله فيه الإنسانية على ربوبيته وصدق ألوهيته، قال تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ (٢)، وفي ذلك يقول الإمام العز بن عبد السلام :" أخرج - الله - الأرواح قبل الأجساد في الجنة، أو بعد هبوط آدم إلى الأرض، وخلق فيها المعرفة فعرفت من خاطبها"(٣) .

وهذا الموطن هو الذي يحمل معنى الروحية في الإنسان، لأنه يقابل المادية فيه، والتي يحملها الجسد بتكوينه الأرضي، أما باقي ما ورد من كلمة "الروح"في الكتاب العزيز فهو يحمل معانٍ متباينة "ولفظ الروح تكرر في القرآن الكريم إحدى وعشرين مرة"(٤).

(١)الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم، محمد السيد أرناؤوط، (مكتبة مدبولى، د.ت) صـ ٣٨٧ .

(٢) الأعراف : ١٧٢ .

(٣)تفسير العز بن عبد السلام (تفسير القرآن)، الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي، بتحقيق : تحقيق الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي (ط.دار ابن حزم - بيروت، طبعة أولى سنة ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦م) جـ ١، صـ ٣٧٠ .

(٤)العقيدة والأخلاق، محمد سيد طنطاوى، (طبعة دار السعادة، طبعة أولى، سنة ١٤١٨هـ، =

ومبني كلامي هنا على أساس أن الروح هي وجدان الإنسان الداخلي، وضميره المستتر الذي يستشعر ويرهف ويتذوق، وذلك لا يعد كشفاً لحقيقة الروح، فهي أكبر من أن نعرفها ونطلع على حقيقتها نحن البشر حيث قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[1].

وما ورودنا عليها إلا لدرك فهمها، ومعرفة لحركتها من خلال مظاهرها وإشاراتها المستمرة، فالروح في اصطلاحنا الذي نسير عليه هي الكيان الداخلي للإنسان.

تدبر قصص إبراهيم عليه السلام وتحريك الجانب الروحي نحو الإيمان :

إن قصص إبراهيم مع قومه في القرآن يعد تحريكا فاعلا لقوة الروح المتحكمة في توجيه العزائم والهمم نحو توحيد الله تعالى في الشخصية المسلمة، وتحريك الهمم لا شك أنه يبدأ من قوة العقيدة الصحيحة، فالعقيدة لها الحاكمية المطلقة على تصرفاتنا ومدى دقتها وإتقانها، ومن خلالها ينفذ الطابع الأخلاقي "والحياة الروحية في الإسلام تجرى على سنن القصد الصالح للحياة البشرية، لا استغراق في الجسد، ولا انقطاع عن سبيل الآخرة"[2]، يقول ابن القيم رحمه الله:

= سنة ١٩٩٨م)صـ ٢٠٠ .

(١)الإسراء: آية ٨٥ .

(٢)الفلسفة القرآنية، كتاب عن مباحث الفلسفة الروحية والاجتماعية التي ورد موضوعها في آيات الكتاب الكريم، عباس محمود العقاد، (طبعة دار نهضة مصر، د.ت) صـ ١٥١ .

"فالله سبحانه شبَّه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل الباسقة الفرع في السماء علوًا، ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة في كل وقت بحسب ثباتها في القلب وإخلاصه فيها ومعرفته بحقيقتها، وقيامه بحقوقها، ومراعاتها حق رعايتها، فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتها واتصف قلبه بها، وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها فعرف حقيقة الإلهية التي يثبتها قلبه لله ويشهد بها لسانه وتصدقها جوارحه، ونفى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله، وواطأ قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات، وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طائعة سالكة سبل ربها ذللا غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلا"(١) .

وقال :"ولا يبتغي القلب سوى معبوده الحق بدلا، فلا ريب أن هذه الكلمة ـ يقصد كلمة التوحيد ـ من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرتها من العمل الصالح الصاعد إلى الله كل وقت؛فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل الصالح إلى الرب تعالى، وهذه الكلمة الطيبة تثمر كَلِمًا كثيراً طيباً يقارنه عمل صالح فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب، كما قال تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ (٢)، فأخبر

---

(١)إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق:محمد عبد السلام إبراهيم، (ط. دار الكتب العلمية – بيروت، ط. أولى، ١٤١١هـ -١٩٩١م)جـ١، صـ ١٣٢ - ١٣٣.

(٢)سورة فاطر : جزء من آية ١٠.

سبحانه أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها عملا صالحا كل وقت.." [1].

وقصص إبراهيم في القرآن تبني في كيان شخصية المسلم معالم الحياة الروحية بقوة على أعمق صور الإيمان بالله، فمثلا في قول إبراهيم عليه السلام: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [2] وكأن إبراهيم عليه السلام يريد أن يقول: كما إنه ـ تعالى ـ هو المتفرد بخلقي دون سواه فهو المتفرد بهدايتي وصلاحي وجميع أمري، ونجد إبراهيم عليه السلام "يقصر الهداية إلى الحق على الله تعالى دون آلهتهم، وهذا مما لا ينبغي أن يختلف فيه أهل العقول بأن الذي يهدي إلى الحق يوصل إلى الكمال الروحاني وهو الكمال الباقي إلى الأبد، فإن خلق الأجساد مقصود لأجل الأرواح، والأرواح مراد منها الاهتداء، فالمقصود الأعلى هو الهداية، وإذ قد كانت العقول عرضة للاضطراب والخطأ احتاجت النفوس إلى هدي الله تعالى، فلذلك كان الذي يهدي إلى الحق أحق أن يتبع لأنه مصلح النفوس ومصلح نظام العالم البشري، فاتباعه واجب عقلا واتباع غيره لا مصحح له، إذ لا غاية ترجى من اتباعه" [3].

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية جـ ١، صـ ١٣٢ ـ ١٣٣ .

(٢) سورة الشعراء : آية ٧٨ .

(٣) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، طبعة أولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) جـ ١١، صـ ٧٧ .

قصص إبراهيم عليه السلام وتوجيه الأرواح لتوحيد ربها :

ما إن تتكون في شخصية المسلم حياة روحية إيمانية قوية إلا ويصدح بما صدح به إبراهيم من حين عبر عن تجرد روحه من المؤثرات الشركية وعوارضها، منتسبة إلى بارئها بكليتها، قال تعالى في ذلك :

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۚ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[1] .

إن نبي الله إبراهيم عليه السلام من خلال ما ذكره الله على لسانه يكوّن في شخصيتنا ينبوعا وجدانيا، يناجي ضميره ويناغيه في صميم معناه، ويناقشه في سويداء قلبه، ويبين له قيمة عنصره ورقي جوهره إذا أحسن الوجهة لله تعالى، ويكاشفه بجمال ذاته إذا أفرد مولاه بالتوحيد ونبذ الشرك، ويفصح له من سوءات الدنيا قصر مدتها، وتزاحم آلامها وشدة محنتها، ويهون في عينه كل شديد ويلتذ بكل عذاب، ويستلفته إلى الذين وقفوا قواهم في حبها وعبدوها واستنفذوا طاقتهم في إرضائها، ولم تزل كلمات إبراهيم عليه السلام بالمسلم كلما تدبر معانيها في القرآن؛ ينبوعا صافيا يوقظه من سكرته، ويبعثه من غفلته، ويستولى عليه بكُليته ثم يفتح له من جانب روحه نافذة تطل به على كنوز معناه من ذخائر الصفاء المعنوي، ولطائف مكنون النعيم

(١) سورة الأنعام : ٧٩ـ ٨٠ .

الروحي، وحقائق السعادة الأبدية، وما إن يصل إلى هذه الحياة المليئة بالإيمان إلا ويحياها أو يهلك دونها، فتصبح حياته روحية صافية.

إن إبراهيم عليه السلام عاش هذا الشعور بكله، ووصى به بنيه من بعدة لئلا يحرموا لذائذه المنبعثة من العقيدة الصحيحة، فلذائذه تفوق لذائذ الهوى والشهوة "وليس في الأحياء أشقى من هذا الإنسان الذي يعيش لمطالب نفسه وجسده دون أن يجد في نفسه القدرة على الاستعلاء عليها والتحكم فيها، إنه حينئذ يفقد وجوده، ويتحول إلى أداة مسخرة، ومطية ذلول لشهوات جسده وأهوائه، تلك الشهوات والأهواء التي لا تسعف الحياة بإشباعها أبداً، إن الحياة الإنسانية في هذا التصور تبدو كئيبة تطل بوجه بغيض كالح يتهدد الناس بالشر، وينذرهم بالبلاء"[١]، ومن هنا كان لتدبر تجرد إبراهيم عليه السلام لله أثر في تكوين شخصية المسلم الذي يريد بناء نفسه بناءا لا تنازعه فيه نفسه، وهو الامتداد الذي سار عليه إبراهيم عليه السلام ويعقوب من بعده في تكوين أبنائه من خلال وصيته، قال تعالى:

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[٢].

---

(١) الله والإنسان، عبد الكريم الخطيب، (ط. دار الفكر العربي، د.ت) صـ ٦ .

(٢) البقرة : ١٣٢-١٣٤.

وهـذا الـذوق الروحـي للإيـمان هـو الـذي جعـل إبـراهيم عليه السلام لا يأبـه بحجاج قومه في الله حين " خاصموه في التوحيد، فقـال لهـم: ﴿ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ ﴾[(١)] أي: في وحدانيته، أو في الإيمان به، وقد هداني إلى توحيده وأرشدني إلى معرفته، فلا ألتفت إلى غيره، ولا أعبأ بمن خاصمني فيه "[(٢)] وكيف يعبأ بهم وقد ذاقت روحه حلاوة الإيـمان وتـشربت مـن منابعـه الـصافية ؟ !! إن هذا لشيء عجاب حين يُنتظر من إبراهيم عليه السلام تسليما للشرك، ما سـمعنا بـه في عالم النبوة وقصص الأنبياء .

ومـا إن تتكـون في شخـصية المـسلم هـذه الدرجـة العاليـة مـن الرسـوخ الروحي الإيماني إلا ويتجرد " عقله عن جميع الإدراكات، وتتعطـل حواسـه عن أحكامهـا، ثـم تنسلخ نفسه عـن الهيكـل الجسماني ومطالبتـه الـشهوانية الملحة، وبعد ذلك يتوجه بقلبه ويزداد معرفة بربه تعـالى فيتجـرد بعـدها مـن المواد الجسمانية ولواحقهـا، ولا يبقـى فيـه إلا الانجـلاء الروحـي غـير المقيـد بشيء من الأجسام وعوارضها، ولا يرى حقيقة قلبه في تلك الحالة إلا نـوراً بسيطاً محتوياً بجميع ما كان وما يكون، منتسبة إلى بارئها لأن جهـل النفـوس بذواتهـا وبارئها إنما نشأ مـن الشواغل البدنية "[(٣)].

وعليه فالجانب الروحـي في الإنسان هـو الـذي يأخـذ بيـده ليمـسح عـن

(١) سورة الأنعام : ٨٠ .

(٢) البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهـدي بـن عجيبـة، (ط. دار الكتـب العلميـة ـ بـيروت، طبعة ثانية، ٢٠٠٢ م ـ ١٤٢٣ هـ) جـ ٢، صـ ٣٨٢ .

(٣) الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم، محمد السيد أرناؤوط، صـ ٤٣٢، مرجع سابق .

جبينه آثار المادة، ولينفض عن كاهله أثقالها وأحمالها، ويمزق قيودها ويحطم أغلالها التي تسوقه إلى التدني والانحلال والشرك بكل أشكاله

ضبط الروح على نسق الفطرة النقية بتوحيد قصدها وتعلقها بربها :

يتجلى ضبط روح المسلم على منوال فطرته السليمة بثباتها على الإيمان وصيانتها من الانحراف من خلال المعرفة بالله تعالى وتوحيده، وفي حكاية القرآن عن حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه حين تبرأ من شركهم ؛ ملمح روحي عميق يبني في شخصية المسلم شعورا فطريا بالتوحيد يتناغم مع عقيدته على نسق قول إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (1).

وفي تدبر تبرؤ إبراهيم عليه السلام من الشرك في الآية عروج بشخصيتنا إلى الأفق الأعلى لعقيدتنا الإسلامية والتمسك بتوحيد الله تعالى الذي هو الوجه الأكمل لآدابنا، والشعلة المتوهجة في قلوبنا، والمعراج الذي نصعد به إلى سيادتنا على تلك المادة المسعورة التي تريد أن تجعل من نفسها غاية للوجود ونهاية للآمال وسبيلا إلى الشرك بمدافعة الفطر نحو الأهواء حتى عبدتها، وقد قال الله في ذلك :

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (2).

---

(1) سورة الزخرف : ٢٦ ـ ٢٨ .

(2) سورة الجاثية : ٢٣ .

وهو تعبير قرآني يستهدف المعنى الحقيقي في الإنسان والغاية المثلى التي تبرزه على غيره من المخلوقات بالتكليف، على أساس ارتباطه بخالقه توحيدا وتنزيها وإجلالا، وذلك جوهر الإسلام وأفقه الأعلى، ومنبع أخلاق دعوة الأنبياء والمرسلين، وروح الكتاب المبين، وفطرة التوحيد في المسلم هي الصانعة للعزائم والهمم نحو الإيمان بالله تعالى، وهى الدرع الحصين الذي يصون عقائدنا، ويحول بيننا وبين أهوائنا وشهواتنا، إذ بها تغرس في قلوبنا المثل العليا التي تُعَدُّ معراجاً ربانياً، ومنهجاً إنسانياً يصنع الإنسان الكامل، ويصوغ المؤمن القوى الزاهد التقى، وإذا تحققت مطالب الفطرة السليمة في شخصية المسلم على النسق الإبراهيمي في القرآن ؛ تحرر من كل عبودية إلا من عبوديته لفاطر السماوات والأرض .

وهذا ما أمر الله به في القرآن حين قال :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1] .

وهذه الآية لها صلة مباشرة بإبراهيم في مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾[2] "فالمعنى: فأقم وجهك للدين والمؤمنون معك، وإقامة الوجه: تقويمه وتعديله باتجاهه قبالة نظره غير ملتفت يمينا ولا شمالا. وهو تمثيل لحالة الإقبال على الشيء والتمحض للشغل به بحال قصر النظر إلى صوب قبالته غير ملتفت يمنة ولا يسرة، وهذا كقوله تعالى

(١) سورة الروم : ٣٠ .

(٢) سورة آل عمران: ٢٠

على لسان إبراهيم ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ (٢)، أي أعطيته لله، وذلك معنى التمحيص لعبادة الله وأن لا يلتفت إلى معبود غيره، والدِّينِ هو دين الإسلام، وحَنِيفاً خلوه من شوائب الشرك، كما كان في وصف إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ (٣)، وحنيف: صيغة مبالغة في الاتصاف بالحنف وهو الميل، وغلب استعمال هذا الوصف في الميل عن الباطل، أي العدول عنه بالتوجه إلى الحق، أي عادلا ومنقطعا عن الشرك كقوله تعالى:

﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ (٤)، و (فِطْرَتَ اللَّهِ) أي الدين الذي هو فطرة الله لأن التوحيد هو الفطرة، والإشراك تبديل للفطرة "(٥).

وبمتابعة هذه الآيات وصلتها ببعضها يصل المسلم لقاعدة تنطلق منها عقيدته على أساس الفطرة النقية بعيدا عن الشرك واتباع الهوى .

---

(١) سورة الأنعام: ٧٩ .

(٢) سورة آل عمران: ٢٠ .

(٣) سورة النحل: ١٢٠ .

(٤) سورة البقرة :١٣٥.

(٥) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، (ط.مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، طبعة أولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) جـ ٢١، صـ ٤٧ .

المبحث الثاني

أثر تدبر قصص إبراهيم عليه السلام

في ربط الميل القلبي بالله تعالى

إن في قصص إبراهيم عليه السلام رسالة لصاحب القلب الحائر،وإلى من يشتكي من القلق والحيرة، وإلى الباحث عن الأمان والطمأنينة، وحقيق بهذا القلب وحريٌّ به أن يطمئن بشارات وعبارات هذا القصص، فله قوة حاكمة في محركات القلوب التي هي مدار تحريك الشخصية نحو ربها، وقبل بيان ذلك نعرف بالقلب، وذلك في التالي:

مفهوم القلب :

القلب هو:" لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان"[(١)]، والخطاب القرآني في ذكره للقلب لم يرد ذلك الجزء العضوي المودع في الجانب الأيسر، ولكنه يرمي إلى أحواله، ويطلق القلب في القرآن"اسما لشيء معنوي وهو النفس الإنسانية التي تعقل وتدرك وتفقه، وتؤمن وتكفر، وتتقي وتزيغ وتطمئن، وتلين وتقسو وتخشى وتخاف، وقد نسبت إليه كل هذه المعاني في القرآن، والأصل في هذا أن أسماء الأشياء

---

(١) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق : إبراهيم الأبياري (ط. دار الكتاب العربي – بيروت، طبعة أولى، ١٤٠٥ هـ) صـ ٢٢٩ .

المعنوية مأخوذة من أسماء الأشياء الحسية، وقد أطلق على الشيء الذي يحيا به الإنسان ويدرك العقليات والوجدانيات كالحب والبغض والخوف والرجاء، عدة أسماء منها القلب، فلفظ القلب يطلق في القرآن بمعنى النفس المدركة والروح العاقلة؛لا هذه المضغ اللحمية التي لا تنتقل من مكانها "(١)، وهذا ما ترنو إليه بغيتنا من معنى القلب .

قيمة القلب في بناء عقيدة المسلم وتكوين شخصيته :

إن القلب هو مركز بناء شخصية المسلم الذي عليه مدار معرفة حقيقته في الوجود الكوني وغاية وجوده، ويحدد من خلاله منهج حياته، فهو مستقر ومستودع هذا المنهج، وقد " ذكر الله تعالى القلوب في القرآن الكريم في مواضع كثيرة- في اثنين وثلاثين ومائة موضع، في ثلاث وأربعين سورة، في أربع وعشرين ومائة آية منها "(٢)، كلها تتصل بالتدبر والاعتبار والخشوع والفقه، فللتدبر منفذ للقلب السليم ؛ يصل إليه ويرقى به، والقلب هو المعول عليه للتدبر، فإذا أغلق عليه حجب عن التدبر، قال تعالى :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٣) والأقفال على القلوب من أعظم موانع التدبر، فمن قرأ القرآن، ولم يجد في قلبه إقبالاً على

(١)إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، (ط.دار ابن كثير – دمشق – بيروت، طبعة رابعة، ١٤١٥ هـ) جـ ٧، صـ ٥٩٨ .

(٢)المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مادة (قلب)، (ط.دار الفكر، بيروت، ط. أولى، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م) ، صـ٥٤٩-٥٥١ .

(٣)سورة محمد: ٢٤ .

الطاعة، فليعلم أن على قلبه أقفالاً ورانا، وليتفقد نفسه، وليراجع واقعه، وليتفكر ما هي الأقفال التي حالت بينه وبين تدبر القرآن والعمل بما فيه.

بخلاف القلوب السليمة فهي تنفتح على نور الذكر وتأوي إليه وتطمئن به وتزداد به إيمانا، ولها هيمنة على كل عناصر الكينونة الإنسانية، تلبي كل حاجاتها على مفهومها الإنساني، وتتعامل مع كل مقوماتها على دعائمها المنضبطة، قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [١]، فالحاكمية على سائر الجوارح مبدؤها القلب، وكينونة الشخصية وتراكيبها محكومة به، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ) [٢]، إذن فالقلب هو المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله، قال النبي ﷺ:(أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ) [٣] .

والحديث"فيه إشارةٌ إلى أن صلاح حركات العبد بجوارحه، بحسب

---

(١)سورة الأنفال : ٢ .

(٢) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، بتحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، (ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت) جـ ٤، صـ ١٩٨٧ .

(٣) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ، بَابُ أَخْذِ الْحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ، جـ ٣، صـ ١٣١٩ .

صلاح حركة قلبه، فإن كان قلبه سليماً، ليس فيه إلا محبة اللهَّ ومحبة ما يحبه اللهَّ وخشية اللهَّ، صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتنابُ المحرّمات كلها، وتوقي الشبهات حذراً من الوقوع في المحرمات، وإن كان القلب فاسداً، قد استولى عليه اتباع هواه، فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلى كلّ المعاصي والمشتبهات بحسب إتباع هوى القلب"(١) .

وبتدبر مخاطبات إبراهيم عليه السلام في القرآن يجد القارئ رسائل مباشرة تكوّن القلب وتزيد في إيمانه ويقينه في توحيد الله تعالى، فهذا الجوهر أو الكيان الإنساني هو الجامع لكل الأوصاف والخصائص، والمميزات والصفات والقدرات المعنوية التي تحكم وجهة الإنسان، والآيات التي تدل على ذلك كثيرة منها قوله تعالى:﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾(٢)وقوله أيضا:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾(٣)، فالمطمئن حقيقة ليس هو عضو القلب، وإنما الحال فيه أو المتعلق به، وقال تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ

(١)جامع العلوم والحكم، للحافظ ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، (ط. مؤسسة الرسالة - بيروت، ط. خامسة، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م) جـ ١، صـ ٢١٠.

(٢) سورة الحج : ٤٦.

(٣)سورة الرعد : ٢٨ .

زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[١]،وفي ظلال تدبر قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن؛ تنبعث في شخصية المسلم لذة الذوق الإيماني وهي على غرار ما رواه الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ:

"ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا"[٢] وبهذا الذوق القلبي المستمد مباشرة من القرآن، تتكيف شخصية المسلم تكيفا فريدا يمنحها الصلاحية لقيادة البشرية قيادة فريدة، لم تعرف لها البشرية– من قبل ولا من بعد– نظيراً – سواء في عالم الإنسانية والشعور، أو في عالم الواقع والحضارة – وقصص القرآن على النسق الإبراهيمي وغيره بما فيه من تكوين عقدي دقيق هو المرجع الأول لتلك الشخصية الفريدة، وهذا ما سنعرض له في التالي :

أولا: تكوين السلامة القلبية من واقع حرص إبراهيم عليه السلام:

تتجلى مواقع تدبر قصص إبراهيم عليه السلام في خلال إدراك مدلولاتها وإيحاءاتها، وليس فقط في فهم ألفاظها وعباراتها، ونبي الله إبراهيم عليه السلام يعول بسلامة القلب للوصول إلى بر الأمان ويمنح استعداد النفس رصيدا من المشاعر والمدركات والمواجد والتجارب التي توقد مجامر القلوب

(١)سورة الأنفال : ٢ .

(٢) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، بتحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِي بِالله رَبًّا، (ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت) جـ ١، صـ ٦٢

بالسلامة اقتداءا واقتفاءا، وحين يتدبر المسلم عمق مؤهلات القلب السليم في منطق إبراهيم عليه السلام يشعر كأنه يتلقاه من فيه في خضم المعترك؛ معترك جهاد النفس وجهاد الشهوات وهو يتقلب بين الخوف والرجاء، والضعف والقوة، والعثرة والنهوض، وقد حكى القرآن عن إبراهيم عليه السلام دعاءه حين قال:

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) ﴾ (١) و" أظهر ما قيل في القلب السليم:أنه السالم من الشكوك والأوهام، والخواطر الردية، ومن الأمراض القلبية" (٢).

وقوله تعالى " بقلب سليم "(" فيه خمسة أوجه :

أحدها:سليم من الشك.

الثاني:سليم من الشرك.

الثالث: من المعاصي، لأنه إذا سلم القلب سلمت الجوارح.

الرابع: أنه الخالص.

الخامس: أنه الناصح في خلقه.

ويحتمل سادساً:سليم القلب من الخوف في القيامة لما تقدم من البشرى عند

(١) سورة الشعراء : ٨٣ / ٨٩ .

(٢)البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، (دار الكتب العلمية ـ بيروت، طبعة ثانية / ٢٠٠٢ م ـ ١٤٢٣ هـ)جـ ٥، صـ ٢٦٥ .

المعاينة " [١].

وفي الآيات يشير إبراهيم عليه السلام إلى أن آلة التحكم في جسد الإنسان وركيزة الأمان فيه تكمن في سلامة قلبه، فهو آلة تحريك الهمم والطاقات والقوى المستوطنة داخل الفرد نحو تطبيقات العقيدة على واقع حياته، قوى تؤثر في واقع الضمير والوجدان وتنعكس على قدرة الإنسان في التعبير عن مواهبه وإبداعاته العقلية والعملية، فعندما يكون ذلك الإنسان على درجة من الإيمان بمبادئ الخير والصلاح يكون على استعداد للتعبير عن ذلك الإيمان بمختلف الطرق والوسائل بها في ذلك التضحية والاستشهاد من أجلها، وإذا لم يرض الفرد مطالب ضميره، عاش عذاب تأنيب الضمير .

"وبطبيعة الحال تبدو على الشخص السوي صاحب الضمير اليقظ فاعلية عمله وإتقانه فيه، وحسن الأداء، والشعور بالمسئولية الأدبية نحو نفسه وأسرته ومجتمعه، وهو يرى في أدائه لعمله بمهارة وإتقان تعبيراً صادقاً عن طموحه في التقدم والرقى والكمال النفسي، وعن رغبته الصادقة في القيام بدور فعال في خدمة المجتمع والإسهام بإخلاص في نموه وتقدمه" [٢] .

---

(١) تفسير الماوردى (النكت والعيون) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (ط.دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، د.ت) جـ ٤، صـ ١٧٦ .

(٢)الحديث النبوي وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، (ط.دار الشروق، طبعة أولى، سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)صـ ٢٩٨، مرجع سابق .

ولا ينبغي لصاحب طلبة السلامة القلبية أن يكتفي بمجرد التماس حقائق مضامين مقال إبراهيم كمجرد معرفة ثقافية، بل يجب عليه أن يستجيش قلبه بالذوق الإيماني لتحقيق غاية وجوده الإنساني، كما يرسمها التوجيه الرباني، فهو السبيل الوحيد لرجوع القلوب لربها، وإذا رجعت سلمت وانصلحت، وبدت عزائمها، وعبرت الأعضاء عن مرادها وبغيتها، فـ:" القلب هو الأصل الجامع للأعضاء، وهو كالملك وجميع الأعضاء تبع له، وإذا رأيت عضواً فاسداً فاعلم أن سبب فساده خلل في القلب فينبغي إصلاحه، ولهذا المعنى كان صلاح القلب أشد أنواع الجهاد، ويؤيد هذا القول قول النبي ﷺ :

"ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كـ له ألا وهى القلب"(١)، ولم لا..؟! و" عماد ملة إبراهيم عليه السلام هو المتفرع عن قوله:"بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" وذلك جماع مكارم الأخلاق"(٢).

---

(١) جزء من حديث أخرجه الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ للبخاري عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد أستبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإن لك ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب، انظر: فتح الباري، شرح صحيح البخاري، للحافظ زين الدين أبى الفرج ابن رجب الحنبلي، كتاب: الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم ٥٢، (ط.مكتبة الغرباء الأثرية، طبعة أولى، سنة ١٤١٧هـ-١٩٩٦م) جـ١ صـ ٢٢٤ .

(٢)التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن =

وقد استجاب الله لإبراهيم عليه السلام، قال تعالى﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾(١).

والآيات" تخلص إلى حكاية موقف إبراهيم عليه السلام من قومه في دعوتهم إلى التوحيد وما لاقاه منهم وكيف أيده الله ونجاه، وقع هذا التخلص إليه بوصفه من شيعة نوح عليه السلام ليفيد بهذا الأسلوب الواحد تأكيد الثناء على نوح عليه السلام، وابتداء الثناء على إبراهيم عليه السلام، وتخليد منقبة لنوح عليه السلام إن كان إبراهيم الرسول العظيم من شيعته وناهيك به، وكذلك جمع محامد إبراهيم عليه السلام في كلمة كونه من شيعة نوح عليه السلام المقتضي مشاركته له في صفاته، وكان إبراهيم عليه السلام من ذرية نوح عليه السلام، وكان دينه موافقا لدين نوح عليه السلام في أصله وهو نبذ الشرك"(٢).

فقد قامت دعوة كلا النبيين إلى التوحيد، فدعوة نوح تجلت في وسط وثني صنمي، وكانت ملامح دعوة إبراهيم عليه السلام مع دعوة نوح عليه السلام حيث نفس الجو المشحون بالأساطير الوثنية، فانطلقت دعوتها لتكسر أوثان الشرك، وتدعو إلى الطهر ونبذ الخرافة على أساس"التوحيد"المطلق العميق التجريد.

= عاشور التونسي (مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، طبعة أولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) جـ ٢٣، صـ ٥٢ .

(١) سورة الشعراء : ٨٩ .

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، جـ ٢٣، صـ ٥١ .

وهذه هي الحقيقة المسلمة الباقية، التي تجعل لتصور الواقع العقدي السليم بقيمته الفريدة في بناء سلامة القلب على نزاهة الإيمان، ونقض خرافة الشرك بمعاول التوحيد أساساً رصيناً في بناء بنيان العقل.

ثانيا : تكوين اليقين القلبي في الله تعالى :

يستدعي قصص إبراهيم أن نستلهم القرآن الكريم مباشرة، وأن نستحضر اليقين في شخصيتنا استحضارا طبيعيا لا تكلف فيه ولا عناء، فالجو الملبد بغيوم سطوة الباطل الذي زاحم دعوة إبراهيم، والملابسات الاعتقادية والاجتماعية التي كان القوم يتخبطون فيها وقت أن جاءهم الهدى، ثم التيه الذي أسهبوا فيه بعد تمسكهم بانحرافهم وعدائهم للحق، كل ذلك يدعونا إلى التدبر، سيما في وقت تحتاج فيه القلوب لذلك بشغف في ظل تحديات التشكيك التي تهوي بشخصية المسلم من منفذ عقيدته في مكان سحيق إن لم يحصن نفسه، وتدفعه إلى حافة الهاوية، وتلقي به في موضع التهديد بالإفلاس المعلق على رأسه، وأي إفلاس؟!!! إنه إفلاس في عالم الإيمان يعطل نمو الشخصية المسلمة نموًا سليمًا ويمنعها من أن ترقى ترقيًا صحيحًا يمكن للفرد أن يقنع ضميره من خلاله باستحقاقه للوجود، ومن محصلات تدبر قصص إبراهيم عليه السلام على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

١ . **اليقين في البعث** : إن اليقين في البعث هو الوشيجة الحية بين الإنسان ووجوده وآخرته أو بين الإنسان وخالق الوجود، وقد ضمن الله هذه الحقائق في حكايته قول إبراهيم :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن

لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ (١).

إن الآيات تشير إلى قلب إبراهيم عليه السلام الذي جاش باليقين والإيمان، حين راح يناجي ربه وينفث زفرات قلبه ليعاين حقيقة يؤمن بها فتحقق مراده فأرضاه ربه، وكانت المعاينة التي سرى بها نور اليقين في الوجود خالدا خلود القرآن، ويحكي القرآن ذلك عن إبراهيم عليه السلام حين قال طلبته:"رب أرني كيف تحيى الموتى"، " ويلاحَظ تأدب إبراهيم عليه السلام مع مولاه تأدبا يليق به، حيث بدأ سؤاله بـ (رب) الذي يشعر بالعناية والتربية لخلقه، قال- تعالى- له وهو أعلم به : ألم يوح إليك أولم تؤمن بذلك ؟ قال إبراهيم عليه السلام مجيبا : يا رب قد أوحيت إليّ وآمنت بذلك، ولكن تاقت نفسي وتطلعت لأن تقف على كيفية الإحياء للموتى ليطمئن قلبي بمشاهدة العيان مع الوثوق والإيمان، ولا غرابة في ذلك فكلنا يؤمن بالأثير وعمله في نقل الأخبار والصور، وكثير منا لا يعرف كيفية ذلك وتتوق نفسه للمعرفة، وفي رد اللهّ عليه بقوله:(أو لم تؤمن ؟) إشارة إلى أن الإنسان لا يكلف بأكثر من الإيمان بأخبار الغيب الصادرة عن المولى – جل شأنه – في ذاته وصفاته ويوم القيامة وغيره، قال تعالى : فخذ يا إبراهيم أربعة من الطير وقطعهن قطعا ثم اجعل عل كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك ساعيات كما كانت، وهكذا يحيى اللهّ الموتى، واعلم أن اللهّ عزيز حكيم " (٢).

---

(١) سورة البقرة : ٢٦٠ .

(٢) التفسير الواضح، محمد محمود حجازى، (ط. دار الجيل الجديد، د. ت) جـ ١، صـ ١٧٥ .

وقد اختلف العلماء في سبب سؤال إبراهيم عليه السلام ربه :"رب أرني كيف تحيى الموتى"، وهو على قولين :

"أحدهما:أنه رأى جيفة تمزقها السباع فقال ذلك، وهذا قول الحسن، وقتادة، والضحاك.

والثاني:لمنازعة النمرود له في الإحياء، قاله ابن إسحاق، ولأي الأمرين كان، فإنه أحب أن يعلم ذلك علم عيان بعد أن علم الاستدلال"(١).

وأما سؤال الله لإبراهيم عليه السلام: (أَوَلَمْ تُؤْمِن ؟) وجواب إبراهيم بقوله (بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) "ففيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني ليزداد يقيناً إلى يقينه، هكذا قال الحسن، وقتادة، وسعيد بن جبير، والربيع، ولا يجوز ليطمئن قلبي بالعلم بعد الشك، لأن الشك في ذلك كفر لا يجوز على نبي .

والثاني : أراد ليطمئن قلبي أنك أجبت مسألتي، واتخذتني خليلاً كما وعدتني، وهذا قول ابن السائب .

والثالث:أنه لم يرد رؤية القلب، وإنما أراد رؤية العين" (٢).

وأيا كان الأمر .. فالمهم أن الحسم القرآني جاء لينشئ تصورات يقينية صحيحة في أمر البعث وإمكانه عقلا، بعيدا عن تصورات البشر

(١)تفسير الماوردى ..النكت والعيون، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم (دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان – د. ت) جـ ١، صـ ٣٣٣ .

(٢) نفس المصدر، صـ ٣٣٤ .

المجردة القاحلة، وهذه الرعاية من الله لإبراهيم والاستجابة لطلبته ليست موقوته، بل هي رعاية للبشرية كلها، رعاية تنتشلها من الحيرة والشك، رعاية تفرغ القلوب والعقول من كل غبش مزعج دخيل، ليقوم تصورها نقيا صافيا نظيفا من رواسب الجاهليات على طول امتدادها في عقد التاريخ وتجدد أيامه وسنينه، تصورا يقينيا حقيقا بالحقائق الغيبية، مستمداً من وحي الله وحده، لا من اجتهاد وظنون البشر ونتاج عقولهم الذي لا يغني من الحق شيئاً .

٢ . اليقين في دفاع الله عن المؤمنين ونصر الله لهم: ما أحوج الشخصية المسلمة عند ملاقاة المحن والأزمات إلى اليقين في نصر الله ونصفتة الحق، بعيدا عن الانفعالات التي هي" أظهر الحالات النفسية التي يتجلى فيها الوجدان، كالخوف والفرح، والحزن والقلق، والأسف والندم، والحقد والحسد، والأمل والضجر"(١).

وإبراهيم عليه السلام بعقيدته الصحيحة وبوارداتها اليقينية كان مثالا في ضبط الانفعالات حين واجه أمواج الاضطهاد العاتية من قبل عباد الوثن حين واجههم بالحقيقة وكشف زيغهم وضلالهم ببيان خصائص الألوهية، وإبطال اشتراك ما عدا الله ومن عداه في العبودية، وتجريدهم من خصائص الألوهية، ومقتضى هذا معناه أنه لم يتوجه بالخضوع والتوكل إلا على الله،

(١) الرجل والمرأة في الإسلام، محمد وصفي، تقديم: محمد عبد الله السمان، تخريج: محمد صديق المنشاوى، ص ١٢١، طبعة دار الفضيلة، بدون تاريخ .

توحيداً لسلطانه الذي هو أخص خصائص الألوهية، والذي لا ينازع الله فيه مؤمن، ولا يجترئ عليه إلا كافر، ومن هنا تمسك إبراهيم عليه السلام بتوحيد ربه، ولم يبال بتهديد قومه، وصابر في مواجهة تنكيلهم به، لأنه على يقين في أن الله سيدافع عنه دفاعه الذي وعد به المؤمنين.

وقد قَالَ تعالى في حكاية ذلك على لسان إبراهيم عليه السلام حين صدح بتهكم إبراهيم وتنكيله بأهل الشرك : ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (١)، فَلَمَّا أَفْحَمَهُمْ بِهَذِهِ الْحُجَّةِ لَجَئُوا إِلَى الْقُوَّةِ، ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (٢) "وتلك عادة الكفار المتعصبين لأصنامهم، كلما أفحموا بالحجة القاطعة لجئوا إلى استعمال القوة، ولكن الله أنجى إبراهيم من النار، وكذا ينجي من يدافع عنه، وقوله"(أُفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله)"معناه "قبحاً لكم ولتلك التماثيل التي تعبدون من دون الله الخالق الرازق الضار النافع، وقوله (أفلا تعقلون) أي:قبح عبادتها وباطل تأليهها وير جماد لا تسمع ولا تنطق ولا تنفع ولا تضر" (٣) .

وفي قوله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ (٤)،

---

(١) سورة الأنبياء: آية ٦٧ .

(٢) سورة الأنبياء: آية ٦٨ .

(٣) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، .خامسة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) جـ ٣، صـ ٤٢٤ .

(٤) سورة الأنبياء: آية ٦٨ .

" ذَكَـر - جَـلَّ وَعَـلَا - أَنَّ نَبِيَّـهُ إِبْـرَاهِيمَ - عليه السلام - لَمَّـا أَفْحَـمَ قَوْمَـهُ الْكَفَـرَةَ بِالْبَرَاهِينِ وَالْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ لَجَئُوا إِلَى اسْتِعْمَالِ الْقُوَّةِ، فَقَالُوا :

﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (١) أَيْ : بِقَـتْلِكُمْ عَدُوَّهَا إِبْـرَاهِيمَ عليه السلام شَرَّ قِتْلَـةٍ، وَهِـيَ الْإِحْـرَاقُ بِالنَّـارِ، وَلَمْ يَـذْكُرْ هُنَـا أَنَّهُـمْ أَرَادُوا قَتْلَـهُ بِغَيْرِ التَّحْرِيـقِ، وَلَكِنَّـهُ تَعَـالَى ذَكَـرَ فِي سُـورَةِ "الْعَنْكَبُـوتِ" أَنَّهُـمْ قَالُوا : (اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ) وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ ﴾ (٢) وَقَـدْ جَـرَتِ الْعَادَةُ بِأَنَّ الْمُبْطِلَ إِذَا أُفْحِمَ بِالدَّلِيلِ لَجَأَ إِلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ الْقُوَّةِ لِيَسْتَعْمِلَهَا ضِـدَّ الْحَقِّ " (٣).

ورغم ما عاناه إبراهيم عليه السلام من أعتى صور التنكيـل إلا أنـه صـمد وثبـت لأنه على الحق، وذلك يرسم في شخصية المسلم تكوينا فريدا من الثبات عند المحن وثوقا في نصر الله تعالى، وهـذا مـا دفـع إبـراهيم عليه السلام إلى عـدم الخنـوع لأمر أهل الكفر" حيث أصر على موقف الهدى الـذي هـداه الله إليـه، وعـلى عبـادة الله الواحـد الـذي هـداه إلى حقيقـة الإيـمان، عنـد لجـوئهم إلى تخويفـه بانتقـام الآلهـة مـن تجديفـه في حقهـا وكفـره بهـا، وتوعـدهم بـأن هـذه الآلهـة المزعومة ستناله بالأذى لا محالة، وحينها ردّ عليهم في اطمئنان الواثق :

---

(١)سورة الأنبياء: آية ٦٨ .

(٢) سورة العنكبوت : آية ٢٤ .

(٣)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ)جـ ٤، صـ ١٦٢ .

(وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ) ولكنه من أدبه مع ربه لم يقطع بأمر هو بعد في طيات الغيب، فقد يكون الله سبحانه وتعالى قد قدر له أن يصيبه شيء من الأذى فيقول:(وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) ثم يعود إليهم فيجابهم بحقيقة موقفهم:كيف تخوّفونني بتلك الآلهة المزعومة التي تشركون بها، وهي عديمة السلطان لا تملك ضراً ولا نفعاً، ولا تخافون أنتم من الله الحق الذي يملك الضر والنفع، وأنتم تشركون به وتعصون أمره ؟! فأيّنا أحق بالأمن ؟ الذي يلجأ إلى الإله الحق ويدخل في حماه، أم الذي يحتمي بغير حمى سوى الأوهام ؟" [1].

وجاء نصر الله له ليثبت دفاعه عن أنصاره بقوله :

﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [2]، ولا شك أن ذلك يؤسس في شخصية المسلم رسوخ اليقين في دفاع الله عن عباده المؤمنين، " وقد أظهر الله معجزة لإبراهيم عليه السلام إذ وجه إلى النار أمره بأن تكون بردا وسلاما؛فكانت، وأما كونها سلاما فهو حقيقة لا محالة، وذكر (سَلاماً) بعد ذكر البرد كالاحتراس لأن البرد مؤذ بدوامه ربما إذا اشتد، فعقب ذكره بذكر السلام لذلك، وعن ابن عباس: لو لم يقل ذلك لأهلكته ببردها، وإنما ذكر (بَرْداً) ثم أتبع بـ (سَلاماً) ولم يقتصر على (بَرْداً) لإظهار عجيب صنع القدرة إذ صير النار بردا، و(عَلَى إِبْرَاهِيمْ) يتنازعه (بَرْداً وَسَلاماً)،

---

(١)رَكائزُ الإيمانِ، محمد قطب، حققه وخرج أحاديثه ونسقه: علي بن نايف الشحود (دار المعمور، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م) صـ ٢٧٧ .

(٢)سورة الأنبياء : آية ٦٩ .

وهو أشد مبالغة في حصول نفعهما له"(١).

ويأتي بناء اليقين في شخصية المسلم من هذه الخلال التي دلت على تحقيق ما وعد الله به من دفاعه عن أوليائه، وذلك في قوله:

﴿ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾(٢)، " وتسمية عزمهم على إحراقه كيدا؛ يقتضي أنهم دبروا ذلك خفية منه، ولعل قصدهم من ذلك أن لا يفر من البلد فلا يتم الانتصار لآلهتهم، والأخسر: مبالغة في الخاسر، وهو اسم تفضيل مسلوب المفاضلة، وكأن خسارتهم لا تدانيها خسارة، وكأنهم انفردوا بوصف الأخسرين فلا يصدق هذا الوصف على غيرهم، والمراد بالخسارة : الخيبة، وسميت خيبتهم خسارة لخيبة قصدهم إحراقه بخيبة التاجر في تجارته، كما دل عليه قوله تعالى: "وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً"، أي فخابوا خيبة عظيمة، وذلك أن خيبتهم في سلامة إبراهيم من أثر عقابهم وإن صار ما أعدوه للعقاب معجزة وتأييدا لإبراهيم عليه السلام، وأما شدة الخسارة التي اقتضاها اسم التفضيل فهي بما لحقهم عقب ذلك من العذاب إذ سلط الله عليهم عذابا كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ ﴾(٣) وقد عد فيهم قوم إبراهيم "(٤).

---

(١) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، طبعة أولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) جـ ١٧، صـ ٧٧ بتصرف يسير .

(٢)سورة الأنبياء : آية ٧٠ .

(٣)سورة الحج : ٤٤ .

(٤) المصدر السابق، جـ ١٧، صـ ٧٨ .

إذن إبراهيم كان في عناية ربه، والله يدخل في عنايته من آمن به، فهو القائل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴾ (١)، وما حدث مع إبراهيم عليه السلام تجربة واقعية عملية تزيل وهم الواهمين في عدم نفاذ دفاع الله عن عباده الصادقين، وجاء التعبير بقوله (يُدَافِعُ) بصيغة المفاعلة، للمبالغة في الدفاع والدفع، فالله - تعالى - بفضله وكرمه يدافع عن المؤمنين أعداءهم وخصومه، فيرد كيدهم في نحورهم، وقوله"إن الله يدافع عن الذين آمنوا كلام مستأنف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان أن الله تعالى ناصرهم" (٢) .

ويبدو تقويم شخصية المسلم في موقف إبراهيم عليه السلام الحالم وردة فعله الهادئة الحانية، فعلى الرغم من تهديهم إياه بالقتل والإحراق إلا أنه صمد على الحمق ولم ينفعل أو يغضب، وذلك يلفت ناظر المسلم ليكوّن شخصيته على عدم امتلاك الانفعالات له وامتلاكه لها وتحكمه فيها، وعدم تحكمها فيه، وذلك يسوق يقينا إلى الأمن النفسي طالما سلم ورضي بقسم الله، وإذا تحقق ذلك"يستشعر الفرد سرور القلب بالمقدور في جميع الأمور، وطيب النفس وسكونها في كل حال، وطمأنينة القلب عند كل مفزع من أمور الدنيا، وقناعة العبد بكل شيء، واغتباطه بقسمة ربه، وفرحه بقيام مولاه عليه، واستسلام العبد للمولى في كل شيء ورضاه بأدنى شيء، وتسليمه له

(١)سورة الحج : ٣٨ .

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل (ط.دار إحياء التراث العربي – بيروت، د. ت) جـ ١٧، صـ ١٦١ .

الأحكام والقضايا باعتقاد حسن التدبير وكمال التقدير فيها"[١]، وكل ذلك حاصل في واقع ما آل إليه من كيد الكافرين لإبراهيم عليه السلام ونجاته بإذن ربه، وهو يعكس في شخصية المسلم إن اقتفى أثره تكامل الشخصية، ويصحب ذلك علامات تكوينية تبدو في ملامح شخصيته منها:

"١ ـ النضج الانفعالي، ويقصد به: اعتماد الفرد على نفسه، وثقته بها، مما يجعله واقعياً فى مواجهة مشاكل الحياة.

٢ ـ قدرة الفرد على الثبات والصمود حيال الأزمات والشدائد، وذلك يعنى تحكم الفرد في انفعالاته واتزان نفسيته، وذلك عين التنمية للشخصية.

٣ ـ شعور الفرد بالسعادة والطمأنينة وراحة البال، وانسياب حياته النفسية، وقلة الشعور بالإحباط.

٤ ـ قدرة الفرد على تبنى مقاييس من القيم والمثل العليا، وترجمتها إلى خطة عملية تعينه على مواجهة مشكلاته"[٢] تلك مواد البناء هي من أبرز الثمار التي يحصلها المسلم في شخصيته من خلال تدبر واقتفاء صمود إبراهيم وثباته على الحق .

ويتكون من خلال تلك المواقف التي وردت عن إبراهيم عليه السلام مجموعة عدد من المظاهر التي تعد ثمارا للتكوين العقدي؛ أهمها:

(١)قوت القلوب في معاملة المحبوب، أبو طالب المكي، (طبعة البابى الحلبي، سنة ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٧م) جـ٢ صـ ٧٩ ـ ٨٠.

(٢) الحديث النبوي وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، (طبعة أولى، دار الشروق، سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م) صـ ٢٧٣.

أ_ إثبات توحيده جل وعلا، وهو ظاهر في مثل قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[1]؛ أي وجعل إبراهيم عليه السلام كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي لا إله إلا الله، كلمة باقية في عقبه أي في ذريته، فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى، ويدعو إلى توحيده" [2].

ب _ اليقين في استحقاق الله -عزوجل- للعبادة، وكذلك اليقين بعدم استحقاق أحد العبادة معه، ومن شواهد ذلك وأمثلته قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾[3].

وفي مواطن كثيرة"أراد إبراهيم أن يصرف قومه عما هم فيه من الشرك إلى الإيمان بالله الواحد الذي لا شريك له، فاستدرجهم إلى التفكير في شأن الأصنام التي يعبدونها حين قال لأبيه وقومه:(أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً)؟بهذا السؤال الإنكاري الذي يهز الغافلين، وذلك في قوله: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾

---

(١)سورة الزخرف : ٢٨ .

(٢)معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين البغوي الشافعي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي (ط. دار إحياء التراث العربي –بيروت، طبعة أولى، ١٤٢٠ هـ) جـ ٤، صـ ١٥٧ .

(٣)سورة الأنبياء : ٦٨ / ٧٠ .

قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [(١)]"[(٢)].

ج ـ التسليم والإيمان بالقضاء والقدر، ومن أبرز المشاهد التي تأخذ المؤمن إلى الاعتبار بها في هذا المقام ما جاء في حكاية القرآن عن قومه حين قال: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[(٣)]، كما يتجلى تسليم إبراهيم عليه السلام للقضاء والقدر، وجاء ذلك في قوله تعالى في حكاية حال إبراهيم حين دعا ربه قائلا: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴾[(٤)]، ثم كانت نتيجة التسليم المطلق لأمر الله في قوله:"وفديناه بذبح عظيم "[(٥)]، وهذا يغرس فينا الإيمان والتسليم لقضاء الله وقدره .

---

(١)الشعراء : ٦٩ - ٧٤ .

(٢)رَكائزُ الإِيمانِ، محمد قطب، حققه وخرج أحاديثه ونسقه: علي بن نايف الشحود (دار المعمور، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م) صـ ٢٧٤ .

(٣)سورة الأنبياء: آية ٦٨ .

(٤)سورة الصافات : ١٠٠ / ١٠٨ .

(٥)بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: محمود مطرجي، (ط. دار الفكر – بيروت، د.ت) جـ ٢، صـ ١٤١ .

ثم كانت نتيجة التسليم المطلق لأمر الله في قوله :"وفـديناه بذبح عظيم "يعني بكبش عظيم والذبح بكسر الذال اسم لما يذبح وبالنصب مصدر "[1].

وقد استسلم إبراهيم عليه السلام لقضاء الله وقدره فأنجاه الله من مكرهم فقال : ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾[2] "، ولا شك أن ذلك يؤسس في شخصية المسلم رسوخ اليقين في دفاع الله عن عباده المؤمنين "وقد أظهر الله معجزة لإبراهيم عليه السلام إذ وجه إلى النار أمره بأن تكون بردا وسلاما؛ فكانت" [3].

ثالثا : توجيه القلب نحو الولاء والبراء من واقع قصص إبراهيم:

لقد وضع القرآن أنموذجاً يحتذى في سلوك إبراهيم عليه السلام مع قومه؛ أنموذجا يسوق القلب سوقا إلى الولاء لله والبراء من القوم ومعبوداتهم وعباداتهم، وهو الكفر بهم والإيمان بالله، وهي العداوة والبغضاء لا تنقطع حتى يؤمن القوم بالله وحده، وهي المفاصلة الحاسمة الجازمة التي لا تستبقي شيئا من الوشائج والأواصر بعد انقطاع وشيجة

(١) بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: محمود مطرجي، (ط. دار الفكر – بيروت، د.ت) جـ ٢، صـ ١٤١ .

(٢) سورة الأنبياء : آية ٦٩ .

(٣) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، حمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، طبعة أولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) جـ ١٧، صـ ٧٧ بتصرف يسير .

العقيدة وآصرة الإيمان، وفي هذا فصل الخطاب في مثل هذه التجربة التي يمر بها المؤمن في أي جيل، وفي قرار إبراهيم والذين معه أسوة لخلفائهم من المسلمين إلى يوم الدين وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾ (١) .

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى :" لما نهى الله عز وجل عن موالاة الكفار ذكر قصة إبراهيم عليه السلام وأن من سيرته التبرؤ من الكفار؛ أي فاقتدوا به وأْتمُّوا إلا في استغفاره لأبيه، وهذه القصة التي أمرنا الله تعالى بالاقتداء بنبيه وأتباعه المؤمنين فيها يجب تدبرها جيداً لعزة معانيها وحسن تقريرها، وكأن سياق الآيات ينبه المسلمين : أليس هؤلاء الذين ألقيتم إليهم بالمودة أعداء الله عز وجل الذين كفروا به وأعداؤكم الذين أخرجوكم من دياركم وأهليكم وأموالكم لا لشيء إلا لإيمانكم بالله عز وجل، ولو أنهم تمكنوا منكم لأثخنوا فيكم ولاستطالوا عليكم بالقول واليد، وهؤلاء هم هم الذين عادوا الله من قبل وعادوا رسله وأنبياءه ومنهم إبراهيم عليه السلام وقومه إذ دعاهم إلى التوحيد فقابلوه بالسخرية والتهديد بالرجم ثم

(١)سورة الممتحنة : ٤ _ ٦ .

التحريق بالنار وهو يدعوهم ويستغفر لمن ظن أنه يؤمن منهم فلما استقر حال عداوتهم لله تبرأ منهم لِحَق ربه لا لحظ نفسه فكيف توالون هؤلاء بميل قلب أو بقول لسان أو بفعل جارحة، ألا فلتلزموا سنة أبيكم إبراهيم ولتعلنوها براءة من الكفار كما أعلنتموها براءة من الكفر.

ويتجلى الولاء والبراء في هذه الآيات مع ما عرضته من الاستثناء في الأمر بالتأسي، فقد اجتمع في إبراهيم عليه السلام أمران؛أحدهما أقره عليه الوحي وأثنى عليه وهو تبرؤه من الكفار، والثاني موعدة إبراهيم أبيه بالاستغفار وهو ما أنكره الوحي واستثناه من التأسي، والنكتة في الأمر أن تلبس إبراهيم عليه السلام بهذا الفعل الذي أنكره الوحي لم يمنع من الثناء على فعله الآخر المحمود والأمر بالاقتداء به، ومن هنا يتقرر مبدأ الولاء والبراء، وهو عماد في التكوين العقدي في شخصية المسلم يحتاج إليه المسلم أشد الاحتياج .

ثالثا : موقف إبراهيم عليه السلام مع الذبيح إسماعيل عليه السلام وأثره في تكوين التسليم القلبي لله تعالى:

لابد من مؤهل لقيادة القلب عند ابتلائه، ولن يكون هذا المؤهل سوى " العقيدة " التي تسمح له بأن يحتفظ بدعائمه تحت إشراف تسليم وجهته لله وحده، ولا أدل على ذلك من اختبار الله لإبراهيم وولده الوحيد إسماعيل عليه السلام، وإلينا البيان في حكاية القرآن، قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن

شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [(١)] وهو قمة التلطف في البلاغ لولده، وترك الأمر لينظر فيه الابن بالطاعة .

والأمر مقضي في نظر إبراهيم ﷺ لأنه وحي من ربه، وفي قول إبراهيم ﷺ لولده (فانظُرْ ماذا تَرَى) "ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه قاله إخباراً بما أمره الله تعالى به ليكون أطوع له .

الثاني : أنه قاله امتحاناً لصبره على أمر الله تعالى .

الثالث : أي ماذا تريني من صبرك أو جزعك، قال يا أبت افْعَلْ ما تؤمرُ، فوجده في الامتحان صادق الطاعة سريع الإجابة قوي الدين، فلما أسْلَما أي: سلما لله تعالى الأمر، قال قتادة :سلم إسماعيل نفسه لله، وسلم إبراهيم ابنه لله تعالى، وقوله :(وتله للجبين) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها: معناه صرعه على جبينه، قاله ابن عباس، والجبين ما عن يمين الجبهة وشمالها .

الثاني:أنه أكبَّه لوجهه.

الثالث:أنه وضع جبينه على تل، وحكى مجاهد عن إسحاق أنه قال: يا أبت اذبحني وأنا ساجد، ولا تنظر إلى وجهي فعسى أن ترحمني فلا تذبحني، "وناديناه أن يا إبراهيم قد صَدَّقْتَ الرؤيا" أي عملت ما رأيته في المنام"[(٢)].

---

(١)سورة الصافات : ١٠٠ / ١٠٨ .

(٢)تفسير الماوردى ..النكت والعيون، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، =

أي ابتلاء هذا ؟! إنه ابتلاء لأب في ولده ووحيده الذي رزقه على الكبر، ابتلاء جدير بقول الله عز وجل عنه" إن هذا لهو البلاء المبين" "يعني الاختبار البين، ثم كانت نتيجة التسليم المطلق لأمر الله في قوله :"وفديناه بذبح عظيم"يعني بكبش عظيم والذبح بكسر الذال اسم لما يذبح وبالنصب مصدر"[1] .

وتلك نتيجة حتمية لصدق التسليم المطلق لله تعالى، فالتسليم لله من أصول الاعتقاد، فهو"الجذر الأول في بناء شخصية المسلم، وهو العنصر الأساسي المحرك لعواطفه، والموجِّه لإرادته، ومتى صحت عناصر الإيمان في الإنسان استقامت الأساسيات الكبرى لديه، وكان أطوع للاستقامة على طريق الحق والخير والرشاد، وأقدر على التحكم بأنواع سلوكه، وضبطها فيما يدفع عنه الضر والألم والمفسدة، العاجل من كل ذلك والآجل، وفيما يجلب له النفع واللذة والمصلحة، العاجل من كل ذلك والآجل، وهذا ما يطلبه منا الإسلام، وقد أدرك حديثاً الباحثون من غير المسلمين قيمة العقائد في توجيه سلوك الإنسان، فبدؤوا يتحدثون عنها تحت عنوان: (أيديولوجيات) ولكنهم ما استطاعوا أن يصلوا إلى المستوى الذي وصل إليه الإسلام، إذ هو يبني في الفرد المسلم إيماناً لا يضارعه ولا يشابهه أي عنصر اعتقادي (أيديولوجي) يحاولون غرسه في نفس الفرد من

= تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، جـ ٥، صـ ٦٠ .

(١)بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: محمود مطرجي، (ط. دار الفكر – بيروت، د.ت) جـ ٢، صـ ١٤١ .

أفرادهم" (١) .

إن مشهد إبراهيم عليه السلام مع ولده الوحيد يربي في شخصيتنا أسمى درجات التسليم القلبي لله ولأوامره، وبإسقاط تسليم إبراهيم عليه السلام لأمر ربه وتتابع قصته؛ يرسخ في القلب تجريد مطلق عن كل شيء سوى الله تعالى وطاعته، وهو ما يأخذ بالشخصية إلى المثالية والكفاءة العليا والنجاة والقوة والنصر.

رابعا : البشارة بإسحاق عليه السلام وتكوين اليقين في صفة القدرة :

تتناغم الآيات في نسج مكونات شخصية المسلم من خلال قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن، وعبر إطلالة على ما تضمنه هذا القصص من كنوز؛ نرصد لكنز عظيم يأخذ القلب واللب إلى تكوين اليقين في قدرة الله تعالى وعدم اليأس وصرف القنوط، قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ

---

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، (ط. دار القلم ـ دمشق، ط. ثانية، ١٩٧٩م صـ ٣٤ .

وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ (١).

وواضح تعجب سارة عليها السلام لما بشرتها الملائكة عليهم السلام، حتى إنها قالت"يا ويلتاه أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب فقالت الملائكة ترد على سارة أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد"(٢)وفي الآيات ترسيخ لليقين في قدرة الله، فلا عجب من أمر يقضيه؛لأنه على كل شيء قدير، وتلك الصورة تغرس في شخصية المسلم معالم الأمل في رحمة الله كاملة غير منقوصة، وتضع قدميه على طريق الاستقامة والفأل عند الرجاء، وتذب عن طريقه عوائق القنوط واليأس.

ثمرة تدبر قصص إبراهيم عليه السلام في تهيئة اتصال القلب بالله :

يتكون في شخصية المسلم من خلال الاعتبار بمدار ما جاء في قصص إبراهيم عليه السلام من مؤثرات في حركة القلب وسكونه وتقلبه بين منازل الاتصال بالله تعالى عدة محركات قلبيه قال عنها الشيخ ابن تيمية رحمه الله: "اعلم أن محركات القلوب إلى الله عز وجل ثلاثة:المحبة، والخوف، والرجاء، وأقواها المحبة، وهى مقصودة تراد لذاتها؛ لأنها تراد فى الدنيا والآخرة بخلاف الخوف فإنه يزول فى الآخرة، قال الله تعالى:

---

(١)سورة هود : ٦٩ _ ٧٦ .

(٢)الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (ط. دار الفكر - بيروت، ١٩٩٣ م) جـ ٤، صـ ٤٥٢ .

﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ [(١)]،
والخوف المقصود منه: الزجر والمنع من الخروج عن الطريق، فالمحبة تلقى العبد في السير إلى محبوبه، وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه، والخوف يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب، والرجاء يقوده، فهذا أصل عظيم، يجب على كل عبد أن ينتبه له، فإنه لا تحصل له العبودية بدونه، وكل أحد يجب أن يكون عبداً لله لا لغيره"[(٢)].

هذا غيض من فيض مما ينسج قلب المؤمن على وشائج الإيمان من خلال تذاكر مواقف إبراهيم وأحواله التي مر بها بين القبض حينا والبسط أحيانا كثيرة .

(١)سورة يونس : ٦٢ .

(٢)مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق : أنور الباز - عامر الجزار (ط. دار الوفاء، طبعة ثالثة، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م) جـ ١، صـ ٩٥ .

المبحث الثالث

أثر تدبر قصص إبراهيم عليه السلام

في توجيه العقل نحو تنزيه الله تعالى

إن في قصص إبراهيم عليه السلام عبرة للعقل، ومن اعتباره تنضبط كينونة الشخصية المسلمة بكل جوانبها وتوجهاتها، وبكل أشواقها ورغباتها، وبكل حاجاتها ومطالبها، فاعتبار العقل يردها إلى جهة واحدة تتعامل معها، جهة واحدة تأوي إليها في كل شيء، جهة واحدة ترجوها وتخنع إليها وتخضع لها وتخشاها، وتتقي غضبها وتبغي رحمتها وترجو رضاها، جهة واحدة تملك لها كل شيء، جهة نزيهة مفادها التوحيد والتنزيه والجلال والجمال، وجهة الله العلي الكبير، وفي قصص إبراهيم عليه السلام فيض من الجمل والعبارات التي توجه العقل نحو تنزيه الله تعالى، والتي من خلالها يستلهم الباحثون والمفكرون والعلماء حجم المكانة التي نالها العقل من بين سائر أعضاء الإنسان،ونظرة القرآن الشاملة من خلال هذا القصص لعمل العقل،وحثه على النظر والتأمل،والفكر والتفكر،وإطلاق العنان له في ربوع المعرفة والعلم وفق ضوابط ومحددات ذكرها القرآن في ثنايا ما جاء في واردات إبراهيم وحواراته مع قومه، وأوضحها بالحجة في المسائل والدلائل التشريعية الضخمة التي لا ينكرها عاقل، وقبل الخوض في غمار مدارات ضبط توجيه العقل نحو تنزيه الله تعالى، يجدر بنا أن نعرف بالعقل كتقدمة ينسجم من خلالها السياق:

تطواف حول مفهوم العقل في القرآن :

بالنظر إلى المعاني اللغوية المستمدة من القرآن الكريم نجد أن مادة "عقل"وردت تحمل العديد من المعاني، منها:الـ"(عقل) هو الحابس عن ذميم القول والفعل" [(١)]، و" العقل: نقيض الجهل: يقال عقل يعقل عقلا، إذا عرف ما كان يجهله قبل، أو انزجر عما كان يفعله، وجمعه عقول "[(٢)]، "والعقل :الحجر والنهي،وهو ضد الحمق والجمع عقول"[(٣)] .

وقد وردت مادة عقل في القرآن الكريم " ٤٩ مرة معظمها بصيغة المضارع، ففعل " تعقلون" تكرر ٢٤مرة، وفعل " يعقلون" تكرر ٢٢مرة، وفعل "عقل" و" نعقل" و"يعقل" جاء كل واحدٍ منها مرة واحدة ولم يرد لفظ العقل معرفاً "[(٤)].

وبهذا فإن مفهوم العقل في القرآن يأخذ مناحي متعددة، مجملها تشير إلى أنه أداة العلم والمعرفة، والتمييز بين الأشياء،والحبس والحجر عن الوقوع في المهالك والمضار، وذميم القول والفعل لأن العاقل يعرف به الضار من النافع والخير من الشر .

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أبو الحسين أحمد، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) جـ٤، صـ٦٩.

(٢) نفس المصدر، جـ٤، صـ٦٩.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، (بيروت: دار صادر، الطبعة الأولى) جـ١١، ص٤٥٨..

(٤) العقل والعلم في القرآن الكريم، القرضاوي، يوسف، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) ص١٣ بتصرف يسير.

وحين أتناول العقل في تدبر قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن، فإنني أقصد بالعقل ذلك الجهاز الذي يتبنى عملية التفكير وصناعة المفاهيم وتحليل المعاني، والتمييز بين سليمها وسقيمها، فلا شك أن "منهج الله هو الأساس في بناء عقل الفرد المسلم السوي بإعداده الإنساني في تعامله، المميز في خصائصه، المؤثر في مجتمعه، القادر على القيام بمسئولياته في المجتمع، ومهامه في الحياة، الواعي لأهداف أمته، العامل على تحقيقها في واقع الممارسات اليومية، القادر على التفكير السليم، المستقل في شخصيته، المعتز بذاتيته، الملتزم في انتمائه، المتوازن في شخصيته وتصرفاته وتفكيره، وهذا لا يتم إلا إذا غذي بلبان هذا الدين في مدارج نموه، ومعارج ارتقائه، ومراحل عمره"(١).

وفيما يلي نبرز لأهم تطبيقات المنهج القرآني في قصص إبراهيم عليه السلام - كنموذج - على منافذ العقل وتصاريفه:

الحجة في الحوار وحصر العقل في دائرة التسليم :

إن المتدبر في حوار إبراهيم عليه السلام العقدي في القرآن ؛ يجد أنه اعتمد على الحجة والبرهان وإعمال العقل عبر منافذ متعددة ؛ كالنظر والتفكر، والاستفهام والسؤال، والاستنتاج والاستنباط، والحوار والنقاش، وإثبات الحقائق وإبرازها، والتفكر والتدبر فيها، والدعوة إلى النظر في الآيات

(١) من أهداف الإسلام، عبد الله بن محمد العجلان، بحث بمجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، عدد (١٢)، صـ٢٩٤ - ٢٩٥.

المعنوية والحسية ومدى نفعها للخلق وقدر فائدتها والمحصول منها، وتأتي دعوة إبراهيم ﷺ خالصة ناصعة شاملة متكاملة تواجه الوثنية مواجهة حاسمة كما صورها القرآن الكريم، ووصى بها إبراهيم ﷺ بنيه كما وصى بها يعقوب ﷺ بنيه قبل أن يموت:

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾[١].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ ﴾[٢].

والمتأمل في قوله تعالى (واذكر) يجد أن الله يصنع شخصية نبيه على عينه، فقد " أَمَرَ اللهُّ جَلَّ وَعَلَا نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : أَنْ يَذْكُرَ فِي الْكِتَابِ الَّذِي هُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الْمُنَزَّلُ إِلَيْهِ مِنَ اللهَّ

(١) سورة الشعراء ٦٩-٨٢ .

(٢)سورة مريم :٤١ / ٤٥ .

إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَيَتْلُو عَلَى النَّاسِ فِي الْقُرْآنِ نَبَأَهُ مَعَ قَوْمِهِ وَدَعْوَتَهُ لَهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ "(١).

وعلى نفس هذا السياق الإقناعي تكرر هذا المعنى المذكور في هذه الآية في آية أخرى في القرآن الكريم، ونجد صلة قوية تربط بين هذا الأمر الإلهي التكويني للنبي صلى الله عليه وسلم وبين آيات سورة الشعراء - السابقة - " فَقَوْلُهُ هُنَا: وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ، هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ"، وَزَادَ فِي الشُّعَرَاءِ أَنَّ هَذَا الَّذِي قَالَهُ لِأَبِيهِ مِنَ النَّهْيِ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ قَالَهُ أَيْضًا لِسَائِرِ قَوْمِهِ "(٢) .

والعبر تترى في قصص إبراهيم عليه السلام، وكلها تخاطب العقل، وتضعه على مدارج اليقين والإقناع، فالإقناع لا يفرض فرضا، ولكن يعرض بالحجة والبرهان، قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾(٣)، وَقَال تَعَالَى:

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا

(١)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، جـ ٢، صـ ٤٢٣ .

(٢)نفس المصدر والصفحة .

(٣)سورة الأنعام : ٧٤ .

كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[1]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾[3]، وقال: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[5]، إلى غير ذلك

---

(١) سورة الشعراء: ٧٠ / ٧٧.

(٢) سورة الأنبياء: الآيات: ٥١ / ٥٦.

(٣) سورة الزخرف: الآيتان ٢٦ / ٢٧.

(٤) سورة الأنبياء: الآيات: ٤٧ – ٤٩.

(٥) سورة الأنبياء: الآيات: ٥١ –٥٦.

مِنَ الْآيَاتِ، وهي تدعو العقل ليتخلص من عبادة غير الله مما لا ينفع ولا يضر على نسق قوله تعالى ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾(١).

وقد أثنى الله تعالى على محاجة إبراهيم عليه السلام قومه ورفع قدره بالحجة التي من الله عليه بها، قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾(٢)، وَقَالَ تَعَالَى:

﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ﴾(٣)، وأصل المحاجة في الآيات في شيء واحد؛هو توحيد الله تعالى، وإقامة الحجة القاطعة على أنه لا معبود إلا هو وحده جل وعلا، وكانوا من قبل قد أفحموا بالحجة القاطعة في مثل قوله تَعَالَى في حكاية رد الْكُفَّارُ على إبراهيم عليه السلام بعد أن كسر أصنامهم:

﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾(٤)، وواضح توبيخهم بمداهمتهم بالتعجب والإنكار عليهم رغم أن لهم عقولا، ولكنهم لا يعقلون بها.

وبذلك "ناظر أهل الشرك وأدحض حججهم، وبين بطلان عبادتهم،

---

(١) سورة الأنبياء: الآيتان ٦٦-٦٧.

(٢) سورة الأنعام: آية ٨٣.

(٣) سورة الأنعام: آية ٨٠.

(٤) سورة الأنبياء: آية ٦٥.

وسوء معتقدهم، فلما بهتوا وقامت الحجة عليهم لجئوا إلى الشدة والقوة، وألقوه في النار ظنًّا منهم أن ذلك هو طريق الخلاص منه، ولكن الله أنقذه منها، ورد كيدهم في نحورهم وجعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام، فأخرجوه من أرضهم، وتبرؤوا من دعوته"[١].

ونرى في خطابات إبراهيم جامعية بين العقل والعاطفة الوجدانية الفطرية، وذلك لتأهيل شخصية السامع والقارئ تأهيلا شاملا، فمن المنقصة التكوينية للذات المؤمنة تجفيف الحجة عن المؤثرات الوجدانية التي تنزع التسليم من العقل، فتجاهل الدافع الروحي الشعوري سبب رئيس في تفاقم الإشكالات في التفكير وفهم القيم.

إقناع العقل بعجزه وإثبات صفة القدرة لله تعالى :

من بلاغة الحجة التي منّ الله بها على إبراهيم عليه السلام في محاجته لقومه، سرعة البديهة والتي تتجلى في موقف"النمرود"وهو الطاغية الجبار الذي كان يحكم الأرض التي يعيش فيها إبراهيم عليه السلام، حين حاج إبراهيم عليه السلام في شأن الله الواحد الأحد سبحانه، قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ

(١)التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام، عبد المجيد بن سالم المشعبي، (ط. أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، طبعة ثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) صـ ٦ .

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ (١).

و"النمرود بن كنعان، هو أول من تجبّر في الأرض وادّعى الربوبية، ولما أوتي الملك حاجَّ في الله تعالى، وفي المحاجّة وجهان محتملان:أحدهما:أنه معارضة الحجة بمثلها، والثاني:أنه الاعتراض على الحجة بما يبطلها، "إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ:رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ : أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ"؛يريد أنه يحيي من وجب عليه القتل بالتخلية والاستبقاء، ويميت بأن يقتل من غير سبب يوجب القتل، فعارض اللفظ بمثله، وعدل عن اختلاف الفعلين في علتهما"(٢).

وقد خيب الله النمروذ بهذا الرد وأغرقه في عين باطله ليقر بهوانه وضعفه، ورغم ذلك لم يقطع إبراهيم حواره معه، بل ماداه حتى فضح أمره على العالمين " قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ، فإن قيل:فَلِمَ عَدَلَ إبراهيم عن نصرة حجته الأولى إلى غيرها، وهذا يضعف الحجة ولا يليق بالأنبياء ؟ ففيه جوابان :

أحدهما:أنه قد ظهر من فساد معارضته ما لم يحتج معه إلى نصرة حجته ثم أتبع ذلك بغيره تأكيداً عليه في الحجة.

والجواب الثاني:أنه لما كان في تلك الحجة إشغاب منه بما عارضها به من الشبهة أحب أن يحتج عليه بما لا إشغاب فيه، قطعاً له واستظهاراً عليه

(١) سورة البقرة:آية ٢٥٨.

(٢)النكت والعيون، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، جـ ١، صـ ٣٢٩ .

قال: فإنَّ اللهَ يَأْتي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ، أي تحيّر، وقيل انقطع"(١)، وتلك عاقبة المجادل بالباطل ليدحض به الحق؛خسران وهوان وهزيمة .

رسالة الحواس للعقل وإلزامه الإقرار بقوله تعالى﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(٢):

مارس الخليل عليه السلام في مخاطباته العقلية أسلوب التهيئة والنقض، فهيأ لقومه أمورا افتراضية تنتهي بإثبات بطلانها عقلا ومنطقا، ونسوق في ذلك مثالا يتعلق بالأجرام السماوية وفرضية كونها آلهة جدلا، ومعلوم أن الكواكب والنجوم كانت تُعبد قديما، وذلك حسب ما تثبته نصوص القرآن والمخلفات الموروثة من معتقدات ومن أعمال أدبية أو فنية كثيرة، وقد أشير لذلك في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في سورة الأنعام؛حيث يذكر أن إبراهيم عليه السلام تفكّر من قبل بالنجم وبالشمس وبالقمر ووجدها مخلوقات زائلة لا تصلح لأن تكون آلهة، وقد منَّ الله عليه برجاحة العقل، وبلاغة الحجة، وسرعة البديهة كما يبدو لنا في محاجته لقومه لإبطال الوثنية بالبرهان العقلي، قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ

(١) نفس المصدر، صـ ٣٣٠ .

(٢) سورة الشورى : ١١ .

ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ
ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى
لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ
أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى
فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ
أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ
وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ
أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ
ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [1] .

فالآيات تخبر بأن"إبراهيم عليه السلام رأى كوكبا فقال هذا ربي ثم تبين له أنه ليس بإله، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي، فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الظالين، فتبين له أنه ليس بإله، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر، فلما أفلت قال يا قوم إني بريىء مما تشركون"[2].

"وَخَلِيلُ اللهَّ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام عَـالِمٌ فِي ابْتِدَاءِ النَّظَرِ إِلَى الْكَوَاكِبِ وَالْقَمَرِ وَالـشَّمْسِ أَنَّ خَالِقَـهُ عَـالٍ فَـوْقَ خَلْقِـهِ حِـينَ نَظَـرَ إِلَى الْكَوَاكِـبِ وَالْقَمَـرِ

(١)سورة الأنعام : ٧٤ - ٨٢ .

(٢)حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر، ابن الحاج القفطي، تحقيق : عبد الله عمر البارودي (مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥) صـ ٨٠ .

وَالشَّمْسِ "[١]، "لكنه أراد أن يتدرج بقومه عباد الأصنام درجة درجة حتى يصل بهم إلى اليقين، فلما جن عليه الليل رأى في السماء كوكباً لامعا، فقال أمام قومه: سأتخذ هذا الكوكب اللامع إلها! فلما أفل أعلن لقومه أنه لا يعبد إلهاً يأفل ويغيب ! (قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ) فلما رأى القمر بازغاً قال (متظاهراً) هذا أجدر أن يكون إلهاً، فنوره أقوى من نور الكوكب، ولكن القمر بدوره أفل !فتظاهر بالحيرة :(لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ)، وأخيراً طلعت الشمس بضيائها الساطع وحرارتها وقوة شعاعها فتظاهر بالفرح الشديد لعثوره أخيراً على الإله المنشود! (قَالَ هَـذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ) فلما أفلت الشمس أعلن أخيراً إعراضه عن كل تلك الآلهة الزائفة التي لا تستحق العبادة، وتوجهه للإله الحق الذي فطر السماوات والأرض على استقامة لا رجوع فيها ولا انحراف عنها (وهذا معنى "حنيفاً") وأعلن براءته التامة من كل شرك في عبادة الله، ونستطيع أن نتصور بطبيعة الحال استنكار قومه لموقفه ومحاجّتهم إياه، وإن كانوا لا يملكون حجة حقيقية أكثر من أنهم يفعلون كما فعل آباؤهم فحسب !"[٢].

وبهذا الدمغ لحجج القوم لا يجد العقل مناصاً إلا أن يرد الشخصية إلى

(١)كتاب التوحيد، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق : عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان (مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة : الخامسة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) جـ ١، صـ ١٦٩ .

(٢) رَكائزُ الإيمانِ، محمد قطب، حققه وخرج أحاديثه ونسقه: علي بن نايف الشحود (دار المعمور، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م) صـ ٢٧٦ .

مصدر واحد، تتلقى منه قيمها وشرائعها وتنظيم مسيرها، وتجد جوابا لكل سؤل يجيش فيها، وهي تواجه الحياة والكون والحياة، بكل ما يثار من علامات الاستفهام.

وعندما تتجلى هذه الكينونة في شخصية المسلم .. تتمثل فيه شعوراً ومواجد سلوكاً، وتتناغم مع ذاته تصوراً واستجابة عقيدة ومنهجا، دنيا وآخرة، وحينها تصبح في خير حالاتها، وفي أوج قوتها الذاتية، وفي أوج انتظامها وتناسقها وقناعتها بهذه العقيدة التي تؤهلها لأعظم الآثار، وتهيؤها لتؤدي أعظم الأدوار.

ومن هنا كانت تلاوة القرآن بتدبر "تعرفه - أي الإنسان - الرب المدعو إليه وطريق الوصول إليه وما له من الكرامة إذا قدم عليه، وتشهده الآخرة حتى كأنه فيها، وتغيبه عن الدنيا حتى كأنه ليس فيها، وتميز له بين الحق والباطل في كل ما اختلف فيه العالم، فتريه الحق حقا والباطل باطلا، وتعطيه فرقانا ونورا يفرق به بين الهدى والضلال، والغي والرشاد، وتعطيه قوة في قلبه وحياة وسعة وانشراحا وبهجة وسرورا فيصير في شأن والناس في شأن آخر، فإن معاني القرآن دائرة على التوحيد وبراهينه والعلم بالله وماله من أوصاف الكمال وما ينزه عنه من سمات النقص وعلى الإيمان بالرسل، وذكر براهين صدقهم وأدلة صحة نبوتهم والتعريف بحقوقهم وحقوق مرسلهم" [(١)].

ولطالما بلغت هذه الحقيقة أوجها في شخصية المسلم، وصارت مظهرا

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، جـ١، صـ ٤٥١ .

من مظاهرها ومركزا في جوهرها، لطالما اتجهت إلى تحقيق غاية وجودها من العبادة الخالصة التي تتمثل فيها عبودية الإنسان لله تعالى وحده في كل ما يقوم به من شؤون الخلافة.

المبحث الرابع

تحريك الدوافع السلوكية والعملية للمسلم

من خلال قصص إبراهيم عليه السلام

من خلال متابعة القصص الإبراهيمي في القرآن الكريم يتكون في المسلم الصادق عدة دوافع تقوم لسلوكه وتربط على قلبه، ومن هذه الدوافع :

أ- دوافع سلوكية في مجال العقيدة، :

إن من يتابع قصص إبراهيم يجد نفسه على الطريق المستقيم والسلوك القويم، حيث توحيد الوجهة لله رب العالمين، ويتجلى ذلك في قوله كما ورد في القرآن:

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۚ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (1) .

والمعنى " أخلصت ديني، وأفردت عبادتي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق حَنِيفاً أي مائلاً عن

(1) سورة الأنعام : الآيات ٧٩ – ٨٠ .

الشرك إلى التوحيد، ولهذا قال "وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ""[١] .

وهـذا يأخـذ بناظرنـا إلى التـأسي بـإبراهيم عليه السلام في تمـسكه بالتوحيـد الخالص، وعدم الانزلاق إلى أي شائبة من شوائب الوثنية والشرك، ومدار تكوين التأسي بإبراهيم يتجلى أيضا في قوله تعالى:﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٢] وذلك أسمى مناط للاقتداء بإبراهيم عليه السلام.

ب ـ دوافع سلوكية في مجال العبادات :

إن المتأمل في مناجاة إبراهيم ودعائه ربه وحرصه على عبادته في القرآن يترسخ لديه دوافع تثير في همته معالم العبادة ووحدة المقصود، وتتجلى تلك الدوافع في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ
(٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ (٣٦) رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا
لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ
لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى
ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ (٣٨) ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (ط. دار الفكر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) جـ ٢، صـ ١٨٥ .

(٢) سورة آل عمران : آية ٦٧ .

وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾[(١)]

إن إبراهيم دعا ربه"بأنْ يجنب بنيه عبادة الأصنام، وأنه أسكن ذريته في بيته ليعبدوه وحده بالعبادة التي هي أشرف العبادة وهي الصلاة، لينظروا في دين أبيهم، وأنه مخالف لما ارتكبوه من عبادة الأصنام، فيزدجروا ويرجعوا عنها "[(٢)].

ويلفت ناظرنا ويكون في سلوكنا غريزة الاهتمام بالذرية، والحرص على استقامة سلوكها في عبادة الله تعالى وحده حرص إبراهيم على ذلك، حين قال:"رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ، يعني: ممن يقيم الصلاة بأركانها ويحافظ عليها، وَمِنْ ذُرِّيَّتِي، يعني: واجعل من ذريتي من يقيم الصلاة. رَبَّنا وَتَقَبَّلْ دُعاءِ، أي عملي وعبادتي، سمّى العبادة دعاء"[(٣)] .

جـ ـ دوافع سلوكية في مجال الأخلاق:

من واقع التدبر في قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن؛يستقي الباحث وابلا من العبر ودلائل التأسي والاقتداء بإبراهيم عليه السلام في جانب السلوك والأخلاق يأخذ بيديه إلى المثالية، ويتوقل بتكوينه سنام الرقي الأخلاقي والسلوكي، ومن الملامح السلوكية التي تتكون من خلالها الشخصية:

(١) سورة إبراهيم : ٣٥ ـ ٤١ .

(٢) تفسير البحر المحيط ـ أبو حيان الأندلسى (ط. دار الفكر، د.ت) جـ ٥، صـ ٣٥٠ .

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ط. دار إحياء التراث العربي –بيروت، طبعة أولى، ١٤٢٠ هـ) جـ ٣، صـ ٤٤ .

أولا : صدقه مع ربه :

حين وصف القرآن إبراهيم عليه السلام بالصدق وصفه به مع المبالغة لبلوغه أعلى الرتب فيه ؛ قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴾ (١).

" فالصِّدِّيقُ:من أبنية المبالغة ونظيره الضحيّك والنّطّيق والمراد أنه بليغ الصدق في أقواله وأفعاله وفي تصديق غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله"(٢) إذن "الصِّدِّيقُ صِيغَةُ مُبَالَغَةٍ مِنَ الصِّدْقِ، لِشِدَّةِ صِدْقِ إِبْرَاهِيمَ فِي مُعَامَلَتِهِ مَعَ رَبِّهِ وَصِدْقِ لَهْجَتِهِ، كَمَا شَهِدَ اللَّهُ لَهُ بِصِدْقِ مُعَامَلَتِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ٣٧ ﴾ (٣)، وَقَوْلِهِ: ﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤ ﴾ (٤) وَمِنْ صِدْقِهِ فِي مُعَامَلَتِهِ رَبَّهُ:رِضَاهُ بِأَنْ يَذْبَحَ وَلَدَهُ، وَشُرُوعُهُ بِالْفِعْلِ فِي ذَلِكَ طَاعَةً لِرَبِّهِ، مَعَ أَنَّ الْوَلَدَ فِلْذَةٌ مِنَ الْكَبِدِ"(٥).

ومن خلال ذلك الورود على تلك الآيات التكوينية نجد أن إبراهيم أسوة حسنة وحقيق بأن يتأسى به المسلم في صدقه مع ربه وصدقه مع نفسه

---

(١)سورة مريم : آية ٤١ .

(٢)إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ط. دار اليمامة – دمشق – بيروت، طبعة رابعة، ١٤١٥ هـ) جـ٦، صـ١٠٥ .

(٣)سورة النجم : آية ٣٧ .

(٤)سورة البقرة : آية ١٢٤ .

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ط. دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م) جـ٣، صـ٤٢٣ .

وصدقه مع الناس .

ثانيا : صبره على الأذى وتحمله في سبيل الحق :

ضرب إبراهيم أعظم المثل للشخصية الصابرة العازمة، فقد صبر إبراهيم على الأذى والتنكيل وثبت على الحق، ومن ذلك صَبْرُهُ عَلَى الْإِلْقَاءِ فِي النَّارِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾(1)، وَقَالَ:

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾(2)، صَبْرُهُ عَلَى مُفَارَقَةِ الْأَهْلِ وَالْوَطَنِ فِرَارًا بِدِينِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾(3)، وَقَدْ هَاجَرَ مِنْ سَوَادِ الْعِرَاقِ إِلَى دِمَشْقَ:وَقَدْ بَيَّنَ جَلَّ وَعَلَا فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ أَنَّهُ لَمْ يَكْتَفِ بِنَهْيِهِمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَبَيَانِ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، بَلْ زَادَ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ كَسَرَهَا وَجَعَلَهَا جُذَاذًا وَتَرَكَ الْكَبِيرَ مِنَ الْأَصْنَامِ، وَلَمَّا سَأَلُوهُ هَلْ هُوَ الَّذِي كَسَرَهَا قَالَ لَهُمْ: إِنَّ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ كَبِيرُ الْأَصْنَامِ، وَأَمَرَهُمْ بِسُؤَالِ الْأَصْنَامِ إِنْ كَانَتْ تَنْطِقُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْهُ:

---

(1)سورة الأنبياء : آية ٦٨ .

(2)سورة العنكبوت : آية ٢٤ .

(3)سورة العنكبوت : آية ٢٦ .

﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (٢).

فَقَوْلُهُ : فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ، أَيْ: مَالَ إِلَى الْأَصْنَامِ يَضْرِبُهَا ضَرْبًا بِيَمِينِهِ حَتَّى جَعَلَهَا جُذَاذًا، أَيْ: قِطَعًا مُتَكَسِّرَةً مِنْ قَوْلِهِمْ: جَذَّهُ: إِذَا قَطَعَهُ وَكَسَرَهُ "(٣).

(١) سورة الأنبياء : الآيات ٥٧ ـ ٦٦ .

(٢) سورة الصافات : الآيات ٩١ ـ ٩٦ .

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، جـ ٣، صـ ٤٢٣ .

ثالثا : شكره للنعمة واستقامته على التوحيد :

توقل إبراهيم عليه السلام معارج شكر النعمة، وتسنم ذروة الاستقامة على التوحيد، فكان نبراسا يهتدي بمسلكه الطالبون، وأسوة يسير على دربه المقتدون، قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (١) .

فقوله:"شَاكِراً لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، "أي قائماً بشكر نعم الله عليه، والصراط المستقيم :هو عبادة الله وحده لا شريك له على شرع مرضي"(٢).

وفي تلك الآيات ترسيخ لقواعد شكر النعمة وترك الجحود، كما تأخذ الآيات بيد المسلم إلى الاستقامة على التوحيد ونبذ الشرك أيضا.

---

(١)سورة النحل : ١٢٠ .

(٢)تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ط. دار الفكر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) جـ ٢، صـ ٧١٩ .

الخـــــــاتمة

بعد هذا التطواف في شعاب البحث تأتي الخاتمة متضمنة في نتائج وتوصيات يبرز لها الباحث فيما يلي :

أولا : أهم النتائج :

١ . ضرورة إطالة التأمل والتدبر في قصص القرآن لما لذلك من أثر في تثبيت قواعد الإيمان في قلب المسلم، وتشييد بنيانه وتوطيد أركانه، وتبصيره مواقع العبر وتشهده، وتعريفه بالله وعظمة ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، لذا أمر القرآن بإعمال العقل في الآيات الكونية، والجوانب المعنوية، والآيات التنزيلية، والتفكر المخلص، والتذكر، وغير ذلك.

٢. عظمة منهج إبراهيم عليه السلام في تقويم بناء شخصية المسلم، وضرورة دراسته دراسة موضوعية يتبين من خلالها لكل مسلم عظمة العقيدة وضرورتها، وما يجب على كل مسلم تجاهها، ليلتزمها في كل شئون حياته العلمية والعملية، حتى تكون همّ حياته ومصدر سعادته مدركا أنه لا معنى لوجوده، ولا سبيل لنجاته إلا بها.

٣. جامعية مخاطبة القصص الإبراهيمي لمنظومة البناء الإنساني المادي والمعنوي وللكينونة الشخصية بكل توجهاتها وجمعها على مائدة اليقين ودقة التكوين على العقيدة التوحيدية النزيهة، وإبطال الشرك بكل أشكاله بالحجة والرهان .

٤. يسوق قصص إبراهيم عليه السلام كل مكونات الشخصية من العقل والقلب والروح والفطرة والحواس إلى وجود الله وتنزيهه وتوحيده والتوكل عليه

واليقين في نصره للمؤمنين والصبر عند ملاقاة الأزمات بكل ألوانها وأشكالها.

٥ . إسقاط قصص إبراهيم عليه السلام لكل أشكال الإلحاد المعاصرة، وإبطالها لعموم المعتقدات الفاسدة التي تشكك في الله تعالى، وتوقف شخصية المسلم عند أبواب اليقين في وجود الله وفي صدق اليوم الآخر والبعث والغيب بكل مجالاته وأشكاله .

ثانيا : أهم التوصيات :

نخلص مما سبق إلى عدة توصيات أهمها:

١ . تكوين لجان بحثية متخصصية في الدراسات القرآنية وعلم النفس وسائر الاختصاصات ذات الصلة للاستفادة من قصص إبراهيم عليه السلام في صياغة وبناء شخصية المسلم عن طريق التدبر في قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن والاعتبار بما فيه من كنوز تمثل منهجا حياتيا آمنا.

٢ .إقامة مؤتمرات وندوات دورية تجمع النخبة من أهل الدراية والاختصاص تهتم بشخصية المسلم بغرض دراسة وإعداد خطط عملية للتدبر في بناء الشخصية المسلمة وتبصيرها بعقيدتها من خلال الكنوز المكنونة في قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن، ومن ثم نشرها بين المؤسسات والمدارس القرآنية والتعليمية.

٣. طرح برامج ومناهج عملية في بناء الشخصية وملامحها من خلال القصص القرآني عموما، وقصص إبراهيم عليه السلام خصوصا، على أن تدعم هذه البرامج لمناهج المؤسسات التعليمية والمدارس القرآنية القائمة على

تحفيظ القرآن الكريم، وذلك لتأسيس شخصية مسلمة تتكون على أسس عقدية صحيحة يحتاجها الجيل المعاصر في ظل تحديات العولمة وأنساقها من التحديات المعاصرة التي تواجهه.

هذا غيض من فيض في موضوع التدبر المليء بالكنوز، ولا يزعم الباحث أنه أحاط بكل جوانب الموضوع، ولكنه جهد مقل يبتغى رضوان الله تعالى، والله غالب على أمره وعلى الله قصد السبيل.

وصل الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته وسلم تسليماً كثيراً.

فهرس المراجع والمصادر

أولاً : القرآن .

- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ط. دار التراث، القاهرة، د. ت) .
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م) .
- الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم، محمد السيد أرناؤوط، (مكتبة مدبولى، د.ت) .
- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، (ط.دار ابن كثير – دمشق – بيروت، طبعة رابعة، ١٤١٥ هـ) .
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط/ ١، دار الكتب العلمية – يبروت، ١٤١١هـ – ١٩٩١م) .
- الله والإنسان، عبد الكريم الخطيب، (ط. دار الفكر العربى، د.ت) .
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، .خامسة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) .
- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: محمود مطرجي، (ط. دار الفكر – بيروت، د.ت) .

- البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، (دار الكتب العلمية ـ بيروت، طبعة ثانية / ٢٠٠٢ م ـ ١٤٢٣ هـ) .
- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، (ط.مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، طبعة أولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) .
- تدبر القرآن، سليمان السنيدي، (ط. المنتدى الإسلامي، ط. أولى، ١٤٢٢هـ) .
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق : إبراهيم الأبياري (ط. دار الكتاب العربي – بيروت، طبعة أولى، ١٤٠٥ هـ) .
- التفسير الواضح، محمد محمود حجازى، (ط. دار الجيل الجديد، د. ت).
- تفسير الماوردى ..النكت والعيون، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم .
- التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام، عبد المجيد بن سالم المشعبي، (ط. أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، طبعة ثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) .
- جامع العلوم والحكم، للحافظ ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، (ط. مؤسسة الرسالة - بيروت، ط. خامسة، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م) .
- الحديث النبوي وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، (ط.دار الشروق،

طبعة أولى، سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م) .

- حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر، ابن الحاج القفطي، تحقيق : عبد الله عمر البارودي (مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥) .
- الرجل والمرأة في الإسلام، محمد وصفى، تقديم: محمد عبد الله السمان، تخريج: محمد صديق المنشاوى، (طبعة دار الفضيلة، د.ت) .
- رَكائزُ الإيمانِ، محمد قطب، حققه وخرج أحاديثه ونسقه: علي بن نايف الشحود (دار المعمور، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م) .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل (ط.دار إحياء التراث العربي – بيروت، د. ت) .
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، بتحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، (ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت) .
- العقيدة والأخلاق، محمد سيد طنطاوى، (طبعة دار السعادة، طبعة أولى، سنة ١٤١٨هـ ـ سنة ١٩٩٨م) .
- العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، (ط. دار القلم ـ دمشق، ط. ثانية، ١٩٧٩م).
- العقل والعلم في القرآن الكريم، القرضاوي، يوسف، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).
- فتح الباري، شرح صحيح البخاري، للحافظ زين الدين أبى الفرج ابن

رجب الحنبلي، (ط.مكتبة الغرباء الأثرية، طبعة أولى، سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) .

- الفلسفة القرآنية، كتاب عن مباحث الفلسفة الروحية والاجتماعية التي ورد موضوعها في آيات الكتاب الكريم، عباس محمود العقاد (طبعة دار نهضة مصر، د.ت) .
- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله تعالى، عبدالرحمن حسن حبنكة (ط. دار القلم –دمشق – ط. ثانية – سنة ١٤٠٩هـ) .
- قوت القلوب في معاملة المحبوب، أبو طالب المكي، (طبعة البابى الحلبي، سنة ١٣٨١هـ - ١٩٦٧م) .
- كتاب التوحيد، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق : عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان (مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة : الخامسة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) .
- لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، (بيروت: دار صادر، الطبعة الأولى) .
- مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، عدد (١٢) .
- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق : أنور الباز – عامر الجزار (ط. دار الوفاء، طبعة ثالثة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م).
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر

أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق : محمد حامد الفقي (ط.دار الكتاب العربي – بيروت، طبعة ثانية، ١٣٩٣ – ١٩٧٣) .

- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، دراسة و تحقيق : يوسف الشيخ محمد (ط. المكتبة العصرية، د. ت) .
- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين البغوي الشافعي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي (ط. دار إحياء التراث العربي –بيروت، طبعة أولى، ١٤٢٠ هـ) .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مادة (قلب)، (ط.دار الفكر، بيروت، ط. أولى، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م) .
- معجم مقاييسس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين تحقيق عبد السلام هارون (ط. اتحاد الكتاب العربي، سنة ١٤٢٣هـ) .
- مفتاح دار السعادة، ابن القيم الجوزية (ط. دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت) .